الفهرس

صفحة

ثمن العدد ٢ قرشان صاغاً

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز | الإدارة | رئيس التحرير المسئول
الدكتور أحمد أمين بك | | محمد عبد الواحد خلاف بك

١٢ شارع سعد زغلول ، القاهرة ، تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

السنة الثانية عشرة | الاثنين ٧ من ذي القعدة سنة ١٣٦٩ — ٢١ من أغسطس سنة ١٩٥٠ | العدد ٦٠٨

في السياسة الدولية :

قضية السـلام في العالم

للأستاذ أحمد طه السنوسي

... بعد الحرب العالمية الثانية وضع المستر إمري ريفس كتاباً دعاه « قضية السـلام » كان له تأثير بالغ في حياة العالم ؛ لأنه يبحث قضية تجول في أذهان الغالبية الساحقة من الناس ، وتستحوذ على لب المفكرين والسياسيين ، والداعين إلى خير الإنسانية ، والمحافظة على سعادة الإنسان وسلامته . على أن الفكرة التي دار عليها محور حديث المستر ريفس في « قضية السلام » فكرة من البساطة والسهولة بمكان ؛ ذلك لأنه رأى أن تلك الوسائل الكثيرة التي تستخدمها الدول والأمم لقيام السلام وتدعيمه والمحافظة عليه قليلة الجدوى ، ولن تغني بغير الإخفاق التام تجاه امتناع قيام الحروب ومنافيات السلم في أرجاء المعمورة .. والمحاولة التي تقوم لا شك مخفقة ، والوسيلة التي يعمد إليها لا ريب خاسرة ؛ لأن هناك عاملاً سياسياً هاماً كل الأهمية ، يشل مساعي الجهد لإخفاق الوسائل وضياع المحاولات ، هذا العامل هو السيادة القومية في بلاد العالم ؛ فهذه الأمة تتمتع بقومية كاملة ، وتلك الدولة تتمتع بسيادة مطلقة ، وهذا يؤدي إلى التمسك والتذرع من جانب كل أمة ، ومن جانب كل دولة ، وكل من هذه وتلك ترمي إلى مصلحتها أول ما ترمي ، ولو طوحت بمصالح الأخرين ، وتسعى لإرضاء شهوة السيادة المطلقة في نفسها ، ولو كان في ذلك ذهاب لسطوة غيرها ، وضياع لاعتبار دول العالمين . يترتب على ذلك كما لا يخفى على كل لبيب أن تحدث الفوضى والتنكر في علاقات الدول بعضها بالبعض ؛ فيكون ذلك سبيلاً لقيام الحروب ، وارتباك الأحوال ، وقصم ظهر السلام ...

فالذي ذهب إليه المستر ريفس هو أن تتخلى الدول عن هذه القومية الكاملة والسيادة المطلقة ، وتفوض أمر تلك السيادة والقومية إلى قانون عالمي ، وإلى نظام دولي ؛ والقانون يعصم ويمسك بالزمام ، ويحد من السيطرة والشرود السياسي ، ويقبض على ناصية الأحوال ، ويوجه العالم إلى رفاهية الموضوع ، وإلى غاية المجموع ، التي هي بدون ريب تحقق السلام ...

والمعاهدات التي تعقد بين الدول لا تستطيع أن تنظم علاقات الأمم ، وليس في وسعها أن تحافظ على السلام ؛ ذلك لأنها غالباً ما تكون مزعزعة ، وكثيراً ما يدب فيها الوهن ، ويتسرب إليها الضعف ، وتنحسر عنها دقة التنفيذ ؛ فقد تمليها ظروف خاصة ، وقد تضيعها ظروف أخرى ، وقد تقيمها وجهات معينة ، وقد تطوح بها أحداث جديدة ، وقد تهب بها ريح ، ثم تؤازرها أرواح ، وقد تذروها الرياح ...

وعلى هذا ، فهي غير صالحة لأن تكون أساساً للسلم ، أو سبيلاً لتنظيم العلاقات الدولية إلا لوقت خاص أو ظرف معين ، أو في بيئة محدودة ، أو لغرض موقوت ... أما الذي يستطيع أن ينظم العلاقات ويضع برامج ومناهج الدول والمحافظة على وثيق الأمم ألا ينقطع وألا يتقطع ، وأما الذي في مقدوره أن يقيم دعائم السلام وألا يخل بها ولا يرضى بديلاً فهو « القانون » ... أجل .. القانون ، ولا شيء غير القانون ...

فالدعوة التي يتمنى أن توجه يجب أن تنصب أولاً على إقامة حكومة عالمية تقوم على أساس القانون ونظام القانون ، وتدع المعاهدات جانباً ؛ لأن التذرع بها خطل ، والتمسك بها عقيم ، نظراً لما يحوطها من وهن ، وما يلابسها من ظروف ، وما يحف بها من تناقضات وملابسات وتصريحات ومغالطات ...

ويمضي ريفس في كتابه مع الرأسمالية حتى يتوصل معها إلى إخفاقها ، ويسير مع الاشتراكية فيقضي بها إلى فشل ذريع ، وينظر إلى الدبلوماسية ويتحقق من عقمها ، ويوجه الدين إلى الوجهة العالمية كما خلق له ، ويصل في النهاية إلى النتيجة التي وضعها وارتآها ، وهي أن مسألة السلم في هذا الزمان رهن بقيام نظام قانوني يستعلي على الدولة القومية ، ويستوجب ذلك منا أن نأخذ من سلطات السيادة في هذه الدول القومية القائمة جانباً لنستغله في الهيئة العالمية أو لنسنده إليها ونكله لها ، أو بالأحرى قيام حكومة عالمية في استطاعتها أن توجه الشئون العالمية طبقاً لقانون عالمي تضعه سلطتها وتنفذه ، وأساسه وهدفه السلم الدائم في أرجاء العالم ...

* * *

.. وفكرة الحكومة العالمية فكرة باتت بالية ولاقت كثيراً من النقد وعاصفة من الواجهات ، بل إنها لن تستطيع أن تقوم في الواقع ؛ لأن هذه الحكومة ستحول سلطة تستعلي بها على السلطة الداخلية والسيادة القومية في داخل بلاد العالم ؛ وهذا إن صح أن نتصوره في بعض الدول الصغرى ، فإن الدول الكبرى لا تسلم به بأي حال من الأحوال مهما كانت براعة الفكرة وجاذبيتها وجدواها ، سواء أكانت هذه الدول شيوعية أم رأسمالية ؛ فهل يستطيع إنسان أن يصدق أن روسيا تسمح بسيادة حكومة على سلطتها الداخلية أو مصالحها الشخصية التي تقوم على أساس الشيوعية ؟.. إن هذا لا يحدث إلا إذا كان أساس الفكرة أن تكون هذه الحكومة حكومة اشتراكية تتعهد بنشر الشيوعية في العالم [illegible] وأقطاره .

ومن الشائق أن بريطانيا توافق على سلطة تستعلي على سلطتها وسيادتها وتوجهها التوجيه الذي تريده ؟.. إن تاريخ بريطانيا ينكر ذلك كل الإنكار ، ويدلنا على وجود نفسية وروح خاصة للشعب البريطاني منذ القديم ، هي المحافظة على حرية الفرد وسيادة القومية الوطنية دون استعلاء أي سلطة أو نفوذ عليها .. ولا نجد التاريخ القديم ، فأمامنا الأيام الحاضرة ، وموقف بريطانيا من مشروع شومان Shuman معروف ، فهي رفضته بالرغم من وجاهته وجدواه في الظروف الحاضرة ؛ لأنه يخلق سلطة فوق سلطتها الداخلية ونفوذها القومي ...

* * *

يقول المستر سمنر ويلز الذي كان وكيلاً لوزارة الخارجية الأمريكية : « ما من حكومة رضيت عن الميثاق كل الرضى ، وقل من الناس من رضي عنه ، ولكن الأكثرية تؤمل أعظم الأمل أن يتم تحسين الميثاق على التدريج ، بحيث تصبح

هيئة الأمم المتحدة أقرب شيء إلى حكومة عالمية متحدة ، وتحقق هيمنتها على الديمقراطية الغربية ، إلا ما أمكنت المحافظة على السلم في السنوات الخمس الماضية ، وهي فترة الانتقال بعد الحرب الأخيرة ، وأنا أومن إيماناً قوياً بأن الهدف الذي يجب أن ترمي إليه الأمم هو أن تصل في النهاية بمعونة هيئة الأمم المتحدة إلى إقامة حكومة اتحادية عالمية تقوم على القانون وتتمثل فيها المبادئ الحقة للديمقراطية الدولية »(١).

ولكني هنا إن حاولت أن أنسبه فلا أستطيع إلا أن أقول إنه توفيق فقط ، لأن صيغة هيئة الأمم المتحدة لا توجد بها أية ناحية تمثلها الحكومة العالمية إلا من وجوه قليلة ، ونحن لا نستطيع أن نسلم أن هيئة الأمم تعدو في طريق إنشاء حكومة اتحادية عالمية نظراً لاعتبارات عامة ، كحق الاعتراض (الفيتو) ، وكشقة الخلاف بين دولها من شيوعية وديمقراطية ، وكتشبث الدول الكبرى المحافظة قبل كل شيء على مصالحها الخاصة دون تعديل أغراضها السياسية تجاه البلاد الصغرى ...

* * *

بيد أن المرء حين يستطيع أن [illegible] ريفس في كتابه « تشريح السلام » من أن غاية السلام لا تتحقق في العالم إلا بقيام حكومة عالمية ، بأن هذا الزعم خيالي أكثر منه عملي حين يواجه الحقيقة الواقعة ، لا يستطيع أن يطوح بعيداً عما ذهب إليه ، فأهم شيء أن تعدل الدول الكبرى أول ما تعدل هذا التكالب على مصالحها الخاصة دون اعتبار لمصالح الدول الصغرى ودون إنصاف لقضاياها .. إن السكوت والمماطلة السيئة لهذه الدول لن تمكث طويلاً ولن تمر على الأمم دون أن تحدث لها نتيجة وأثراً ، وهذا التناسي عن قضايا الدول الصغرى وإنصافها من الدول الديمقراطية الكبرى هو العامل الأول الذي مهد لانتشار الجيش الأحمر في الدول الصغرى بل والدول الكبرى نفسها ، وعمل على نجاحه فيها وكل إليه من أعمال وما كلف بنشره من مبادئ ، كما كان العامل الهام الذي حدا بالنفوذ الشيوعي أن يتوطد في البلاد الصغيرة التي تدنو رويداً من المعسكر الشيوعي .. ولا تلومن الدول الديمقراطية إلا نفسها إن رأت أمامها نتائج سيئة ما كانت تنتظرها في جو البلاد الصغرى ؛ لأنها هي المسئولة أولاً وأخيراً عن هذه النتائج ، بل هي التي دفعت إليها من حيث لا تشعر ...

إن الدول الديمقراطية يجب قبل أن تقدم على توطيد دعائم السلام أو أن تسعى إليه ، أن تضمن الدول الصغرى إلى جانبها تآزرها معها بنفوذها الأدبي والسياسي وما إليه ، لأنها بذلك تقيم العالم الديمقراطي بأجمعه تجاه المعسكر الشيوعي الذي لا شك أنه لن يساوي تجاه هذه الكتلة الضخمة ، مع التقوى معه بكل صنوف السياسة والكياسة والدبلوماسية والتوفيق حتى يهدأ ويستكين ، وبعد أن أهم ما يعتمد عليه وهو الطابور الخامس في الخارج قد وهن طبقاً لتحسين العلاقات بين الدول الكبرى الرأسمالية وبين سواها من الدول الوسطى والصغرى في عالم الشرق ا ...

أحمد طه الشرعي

الإدارة الهندسية القروية بالشرقية

تقبل العطاءات لغاية ظهر يوم ١٦ / ٩ / ١٩٥٠ عن عملية تحويل مستشفى قروي الإبراهيمية مركز ههيا شرقية إلى مجموعة صحية ، وتطلب الشروط والمواصفات من الإدارة الهندسية بالزقازيق على ورقة دمغة فئة ثلاثين مليماً نظير دفع مبلغ جنيه واحد بخلاف مائة مليم أجرة البريد ، ويمكن الاطلاع على ألبوم الرسومات بالإدارة الهندسية بالزقازيق ، وكل عطاء لا يكون مصحوباً بتأمين قدره ٢ ٪ لا يلتفت إليه .

٥٥٩٥

(١) من نسخة عربية لأحد أحاديث [illegible] .

جناية التراث اليونانى

على الفكر العربى

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

هدفت فرق القرامطة والباطنية من بين فرق الشيعة إلى التشهير بشعائر الإسلام وتعاليمه ، وتهديد أركان الدولة العربية . فهى لذلك تعد بمثابة أوكار سرية لاذ بها العلويون المضطهدون ، والفارسيون الساخطون ؛ فاختلطت فيها أهواء العلويين فى طلب الحكم بنوازع الفارسيين فى بعث تراثهم الدينى ، وإحياء حضارتهم ، حتى صارت مرتعاً خصيباً لتنفس الغل ، ألقت فى بعض النفوس بمبادئ متطرفة ضالة ، حضت على الالتجاء إلى أساليب العنف ، واستخدام قوى الفكر فى تنفيذ مآربها الخطرة على المجتمع العربى .

ويرجع اضطهاد العلويين ، وسخط الفارسيين إلى عهد يمتد فى القدم إلى صدر الدولة الأموية ، إذ نظر بنو أمية إلى العلويين على أنهم ثوار يتآمرون على قلب حكمهم ، فأباحوا دمهم ، ولم يتورعوا عن قتل الحسين بن على ، والفتك بآل بيت رسول الله فى ساحة كربلاء ، كما أخذوا فى قتل كل من تسول له نفسه طلب الحكم لآل على بن أبى طالب ، وأخمدوا ثورات الشيعة بكل غلظة ووحشية ، مما دعا رجال الشيعة تحت ضغط هذا الإرهاب الهمجى إلى تحويل حركتهم التى تسعى لتولى خلافة المسلمين ، إلى دعاية خفية مستترة لتأمن شر الحكام ، ولم يرحم العلويين من هذا الإرهاب المتواصل إلا إعلان الفارسيين الحانقين الثورة على بنى أمية ، الذين أذلوا كرامتهم ، وحطوا من قدرهم ، وأبعدوهم عن المناصب الهامة فى الدولة ، فكرهوا الحياة فى ظل خلافتهم ، وقام أبو مسلم الخراسانى بثورته المعروفة ، فقربت قسوة الخلفاء الأمويين بين العلويين والفارسيين ، وتعاونا معاً فى محاربتهم ، وإن كان غرض كل من الفئتين يختلف عن الآخر فى هذه الحادثة ، إلا أن ذلك لم يقف دون توحيد جهودها فى سبيل إزالة سلطان دولتهم الطاغية الباغية .

ولئن كان غرض العلويين من مقاومة بنى أمية هو تولى خلافة المسلمين ، فإن غرض الفارسيين الظاهر فى ذلك الوقت ، هو طلب حسن الرعاية ، وحفظ الكرامة الفارسية ومساواة الفارسيين بغيرهم من الشعوب الإسلامية . وكانت رغبة الفارسيين فى تحقيق مساواتهم بالعرب على الخصوص من القوة بحيث أشعلت نيران ثورة أبى مسلم الخراسانى ، الذى تعمق فى فهم مختلف التيارات التى تتضارب فى الحياة العربية ، فاستغل لإنجاح ثورته دعوة عريضة ، لطلب الخلافة [illegible] صاحب الرسالة الإسلامية ، فلاقت رواجاً واسعاً بين جميع طوائف المسلمين ، إذ كيف يتولى أمر الحكم فى الإسلام من لا يتصل بصلة رحم برسول الله ، فوجدت هذه الثورة تأييداً عاماً ، وساعد على انتشارها فى ربوع العالم الإسلامى بنو العباس وهم من أقرباء نبى الله ، وكانوا يدعون سراً لتوليهم مناصب الحكم ، وارتاح إليها الفارسيون الذين ذاقوا مر الهوان من تعسف الاستبداد الأموى ، واغتبط لها الشيعة لأنهم أدركوا أن ساعة تولى أئمتهم خلافة المسلمين قد حانت .

وما إن طوح أبو مسلم الخراسانى بالدولة الأموية ، حتى تردد العلويون فى تربع كراسى الحكم ، لأن الأهوال التى عاناها أمراؤهم علمتهم الحذر والحيطة . ولما آلت الخلافة إلى العباسيين ، سخطوا عليهم ، ورأوا أنهم أولى منهم بها ، وقاموا بثورات عديدة فى وجه خلفاء بنى العباس ، ولكن قضى عليها بسهولة ، واضطر العلويون إلى أن يعودوا إلى أساليبهم السرية ، بينما لم يهتم الفارسيون كثيراً بتولى

العباسيين دون العلويين ، لأن العباسيين والعلويين جميعاً من أقرباء رسول الله ، وكل ما يطمعون فيه هو أن يحظوا بالمساواة بالعرب ، ويحاطوا بالحسنى ، ويرد إليهم اعتبارهم وهيبتهم ، ويتحرروا من ضغط الحكم الأموي . وقد كفل العباسيون لهم تحقيق هذه المطالب . ولكنهم بغتوا بعد حين بمصرع أبي مسلم الخراساني على يد أبي جعفر المنصور ، فغضب أهل خراسان ، وقامت عدة ثورات متتالية ، أخطرها ثورة سنباذ ، الذي أراد أن يكتسح المملكة العربية ، حتى يصل إلى الكعبة الشريفة ويحطمها انتقاماً لمقتل أبي مسلم ؛ ولكن جيوش المنصور أوقفته عند حده . ولم يكد ينسى الفارسيون هذه الفاجعة ، حتى فوجئوا بنكبة البرامكة في عهد هارون الرشيد ، فجددت هذه الحادثة الأليمة الأضغان وجعلتهم لا يطمئنون إلى العرب ، سواء أكانوا أمويين أو عباسيين . وأخذت تنتاب نفوسهم مراقب تطلب الثأر ، وتراود عقولهم أفكار تسمو بالانتقام . حتى إن يعقوب بن الليث بعد أن استولى على فارس ، عزم على أن يثأر لأبي مسلم ، ويثأر لآل برمك ، ويخلع الخليفة العباسي ، ولكن المنية وافته قبل أن يشرع في هذا الأمر .

وهكذا ضاق العلويون ذرعاً بحكم الأمويين والعباسيين معاً ، وكره الفارسيون طغيان الأمويين ، وارتابوا في دوام حسن رعاية العباسيين لهم . وكما عضدوا العلويين صراحة في قلب الحكم الأموي ، ساعدوهم سراً في نشر دعوتهم ضد خلافة بني العباس ، حتى لا ينكشف أمرهم فيتعرضوا للاضطهاد أو يستهدفوا للأخطار . وكانت فرق الشيعة هي الخلايا السرية ، التي كانت تجمع بين عرب ساخطين على الحكام لاعتقادهم أن أئمة آل علي أحق الخلق بخلافة المسلمين ، وبين فرق أذهلهم الفتح العربي ، فقبلوا تعاليم الإسلام وهم في غيبوبة لم يفيقوا منها إلا بعد أن اشتدت قوة الأمويين عليهم ، وطال أمد احتقارهم لجنسهم واعتزازهم بعنصرهم العربي . وما إن زالت خلافة بني أمية وجاء العباسيون حتى تيسرت لهم سبل الاشتراك في الحكم ، وتولوا أعلى مناصب الدولة وأهمها ، فأخذت روحهم المعنوية تنتعش تدريجياً ،

وتقوى شوكتهم شيئاً فشيئاً . فأحسوا أخيراً أنهم محكومون بعد أن كانوا حاكمين ، وأن حضاراتهم وثقافتهم ودياناتهم تلاشت ، وطغت عليها الحضارة العربية والثقافة الإسلامية ، فلم يستطيعوا مقاومة انفعالاتهم القومية في استعادة مجدهم البائد وبعث ثقافاتهم الزائلة وإحياء دياناتهم من جديد .

وهكذا أخذت تقوى نزعة الفارسيين المتطرفين نحو تحقيق استقلال الوطن الإيراني عن الإمبراطورية العربية ، خلف صورة رغبة الانتقام من الحكام العرب والسلطان الإسلامي ، وأخذت تتجدد آمالهم في بعث التراث الإيراني ، في صورة الطعن في الإسلام ، وانتقاد طقوسه ، ومحاربة تعاليمه في تعابير إيرانية عقلية . وأصبح الفارسيون الوجه الأول لسياسة الفرق الهدامة في الإسلام . فأخذوا في تأييد دعوة الشيعة في طلب إمامة المسلمين بالأفكار الفارسية ، وطالبوا لأئمتهم الحكم كستار لاستعادة نفوذ الفرس على إيران ، كما اندسوا بين صفوف العرب ، وادعوا أنهم من نسل علي ، وطالبوا بالخلافة لأنفسهم . وبدأت فرق القرامطة في سوريا والبحرين والعراق ، وفرق الباطنية في فارس تنفذ سياستهم ، من ذلك سبيلاً من وسائل الثورة على العرب والإسلام لم تسلكها ، فلم تتوان في استخدام العنف ما وجدت إلى ذلك سبيلاً ، كما رغبت في استغلال الفلسفة والأساليب العقلية لنشر تعاليمها بين المسلمين .

ويبدو العنف في جرأة القرامطة التي بلغت حد الاستخفاف بالسلطات الحاكمة ، فلم تتورع عن السطو على البصرة والكوفة وغيرها من البلاد العربية ليلاً ، ولم يشق عليها سلب الأموال وقتل الأنفس وسبي النساء ، بل إنهم لم يحجموا عن إيذاء الحجاج في ذهابهم وإيابهم ، وسولت لهم أنفسهم أخيراً غزو مكة المكرمة يوم التروية ، واقتلعوا الحجر الأسود ، ونهبوا كسوة الكعبة الشريفة ، وحققوا جزءاً من الحلم الذي كان يراود سنباذ في تحطيم الكعبة ، وكشفوا عن حقدهم الدفين لأقدس رمز يعتز به الإسلام . ولم تختلف طرق الباطنية الشيعة عن طرق القرامطة ، فقد كانوا يعمدون إلى الاغتيال ، وقطع الطرق ، واغتصاب الأموال ،

كما كانوا يستولون على القلاع الحصينة ، ويهددون سلطان الخلفاء ، وجميع هذه الأعمال تنطق بالتحدى السافر للخلافة الإسلامية ، وتفصح عن رغبات قومية مكبوتة ، تنفس عنها بأساليب فوضوية آثمة ، ثم عن عجز يقصر دون الوصول إلى الحكم والسلطان بالطرق المشروعة ، فلجأت إلى العنف والثورة .

إلا أن أساليبهم العقلية كانت أخطر بكثير على العقلية العربية والمجتمع الإسلامى ، من خطر الفتن التى كان يثيرها القرامطة والباطنية من حين لآخر ضد الحكم العربى ، لأنها كانت تحاول أن تستميل النفوس ، بالغش والخداع ، وتثير الشك والحيرة فى العقول ، وتزيغ قلوب السذج ، وتقضى على الائتلاف الدينى الذى تقوم عليه الحضارة العربية ، لتدفع السذج للانضمام إلى فرقتهم ، وتحثهم على اعتناق أفكارهم الهدامة للإسلام وتحضهم على نشر دعوتهم فى ربوع العالم الإسلامى . ولقد لجأت كما لجأ كل مفكر حاول أن يحارب الإسلام إلى الفلسفة اليونانية ، واتخذت من مناهجها العقلية الاستدلالية معولا لهدم الأسس التى يقوم عليها الإسلام ومبادئه . كما استعانت بطرق [illegible] إظهار لا معقولية تعاليم الدين الإسلامى ، واتبعت طريقة الرازى فى تفضيل الفلسفة على الدين ، فجعل كلا الفلسفة والعقل تعلو على كلا الدين والوحى .

وللدعاة القرامطة والباطنية طرق غريبة فى ترويج مذاهبهم ، إذ يندس هؤلاء الدعاة بين الطبقات الدنيا من الشعب ، ويلقون عليهم ألوانا كثيرة من الأسئلة المحرجة ، التى يشق فهمها على الجهلاء وعلى ألباب السذج ، الذين يغيب عنهم مكر هؤلاء الدعاة ، الذين يقصدون من وراء هذه الأسئلة أن يظهروا لهم ما هم عليه من جهل ، ويبينوا لهم سعة أفق أئمتهم ، ومعرفتهم بأحوال الكون ، واطلاعهم على أسرار تعاليم الإسلام وخفايا أحكامه ، بأن يطالبوهم مثلا بتفسير ظاهرة ثبات أهداب الإنسان على جفنيه ، ونباتها على جفن واحد فقط عند سائر الحيوانات ، أو يطالبوهم بتعليل غسل جميع البدن بسبب خروج قطرة منى ، وغسل أجزاء منه فقط بسبب البول ، بالرغم من أنهما يخرجان من موضع واحد ، أو يطالبوهم بتبرير عدم قطع فرج الزانى كما تقطع يد السارق ، حيث إنهما جميعا آلة الجناية . فإذا ما عجز هؤلاء العوام عن الإجابة ، يخبروهم بأن من يتحقق بفرقتهم يطلع على كل هذه الأسرار من أئمتهم . ولا ريب أن هذا النوع من الأسئلة يربك العقول الساذجة البسيطة ، ويبلبل أفكارها ويدفعها لطلب معرفة ما يغمض فى الكون من غموض ، وما فى الإسلام من تناقض ، حتى لا تبقى فى حيرة مقلقة ، لا تجد ما يبرر تغاير الظاهرات الطبيعية ، ولا تعثر على ما يوضح لا منطقية أصول الإسلام من عبادات وشرائع ، فتسعى للانضمام إلى سلك هذه الفرق ، لتعرف ما يغيب عنها من أحوال العالم ، وتدرك ما يستعصى فهمه فى الشريعة الإسلامية ، من كبار أئمة القرامطة والباطنية ، الذين كشف الله تعالى لهم سره ، ومنحهم القدرة على فهم غوامض الكون ، ويسر لهم تأويل آياته ، حتى [illegible] ، وتذهب حيرتهم ، وينعموا بالاستقرار النفسى .

ولا يكشف الدعاة [illegible] من العلم الذى استقوه من الأئمة ، إلا بعد أن يبذل المريد العهد بألا يفشى تعاليمهم ، ويدفع قدرا محترما من المال . ويبدأ الدعاة الذين استرشدوا بمدح الشريعة الإسلامية ، وإعلان فضائل رسول الله ، حتى يكسبوا ثقته ، ويركن إليهم ، ثم يستدرجونه عن طريق تأويل الآيات القرآنية تأويلا يتفق مع تعاليمهم وأغراضهم ، إلى إسقاط فرائض العبادات ، ويذكرون له أنها شرائع وضعها الأنبياء حسب حاجة الدهماء ، وأنها لا تليق بخاصة القوم من أصحاب العقول الكبيرة ، ثم يقودونه إلى تحقير الكتب المقدسة من توراة وإنجيل وقرآن لتعارض شرائعها ، ويدفعونه إلى الطعن فى النبوة بأن يبينوا له كيف أن الأنبياء يكذب بعضهم بعضا ، وينسخ كل منهم ما جاء به الآخر ، ويوهمونه بأن الوحى ما هو إلا صفاء النفس ، ويحرضونه على إنكار المعجزات ، لأنها تقوم على أساس غير عقلى ، ويشوقونه إلى الفلسفة ، ويرفعون منزلة الفلاسفة فى نظره إلى مرتبة تعلو

مرتبة أنبياء النجاة والرعاع ، لأنهم رسل الحاكمة ، ثم يقتدونه آخر الأمر بمفاهيم الفلسفية . وهي مزيج مشوه من أفكار عنصرية وأفلاطونية محدثة تستعير تعابير إيرانية وتحاول أن تضفي عليها مسحة إسلامية .

وبهذه الطرق التي لا يشك أحد في أنها تطبق تطبيقاً عملياً آراء ابن الراوندي والرازي ، وتعتمد على أساليبهما الجدلية ، استطاعت أن تشيع الزيغ في قلوب المسلمين ، وتضعف من وازعهم الروحي ، وتملأ النفوس بوسوسة تفت في عضد الائتلاف الديني الذي تقوم عليه الخلافة الإسلامية ، وأن تحشد العقول لتقبل مجموعة من المذاهب الحلولية معبر عنها بألفاظ إيرانية ، لم تجد المحاولات في صبغها بصبغة إسلامية ، وما كنا نستطيع أن نعيب على مثل هذه الفلسفات لو نجحت في مزج أفكار اليونان بأفكار إيران ومبادئ الإسلام مزجاً كيفياً ، وابتكرت مذاهب جديدة تتم عن نزعة تقدمية تنشد رقي الفكر الإنساني وازدهار الحضارة — وإنما إخفاق هذه الفرق في إدماج هذه الأفكار في صعيد واحد والتنديد بها ؛ وإن دل على شيء فإنما يدل على أن الأفكار غير المتجانسة لا سبيل لأتحادها ، بل إن النتاج بتداخل التراث اليوناني في حياة العرب الدينية ، أدى إلى أنه تبنى الميول المنحرفة ، واحتضن النزعات المتطرفة ، وزود العقول الثائرة والنفوس المتذمرة بأساليب منطقية ، دعت إلى ضرب من ضروب الإلحاد المقنع ، الذي أفسد مزاج كثير من المسلمين التابعين ، وعطلهم عن التفكير القويم الذي ينمي الاستعدادات ، ويقوي الرواهب ؛ هذا فضلاً عن أن الدور الخطير الذي لعبته الفلسفة اليونانية في ذلك النضال الحاد الذي قام بين المسلمين وأتباع القرامطة والباطنية ، قد منع امتزاج الثقافات الفارسية ، التي أرادت أن تشق طريقها في العالم الإسلامي ، بالثقافة العربية ، لأن الفلسفة مدت كلا من الثقافتين بأسلحة عقلية ، أحتدنا تتراشقان بها ، حتى حدثت الشقة بينهما ، وأصبح من المحال التوفيق بينهما ، بالرغم من أن مقوماتهما متجانسة ، وروحهما واحدة ، وأن بينهما وبين التراث اليوناني تفاوتاً عميقاً في الاتجاهات ، ومفارقات دقيقة في النزعات ؛ ومع ذلك لم تسلم العقول الإيرانية من الطعن في الإسلام متذرعة بالتراث اليوناني ، وإن كان للظروف السياسية والاجتماعية دخل كبير في هذا الطعن ؛ إلا أن الفلسفة الإغريقية وطدت الاتجاهات الضارة في النفوس ، ودعمت الأفكار الهدامة في العقول ، وبررت محاربة الإسلام تبريراً منطقياً ، مما ساعد على تنفير العقول العربية من الثقافة الفارسية ، حتى استحكم الخلاف بينهما ، واستحال تكوين ثقافة روحية مبتكرة ، تجمع بين مبادئ الإسلام وتراث إيران ، مع أن التاريخ يشهد بأن تزاوج الثقافات المتجانسة ينبعث منه نبع من الفكر الخصيب القادر على الخلق والإبداع .

عبد العزيز محمد الزكي

كيف



طرائف عن القمر

للأستاذ جمال الدين محمد موسى

الحديث عن القمر حديث حلو جميل ، يحمل طابع الطرافة والمتعة ، وسأحاول فيما يلي أن أعرض على القارئ بعضاً من الطرائف عن هذا التابع الفضي الذي كثيراً ما تغنى به الشعراء وأطباء العشاق .

***

سفر في ثمانية أشهر :

إن القمر هو الوحيد من بين جميع جيراننا السماوية القريب منا ... ولكن هل هو قريب منا ؟؟

دعنا نتدبر الأمر ... لنتصور أننا أنشأنا خطاً حديدياً بين الأرض والقمر فكم ترى يلزم لقطار سريع لكي يقطع المسافة بين كوكبنا وذلك التابع ؟؟ ... إنه يحتاج إلى مائتين وأربعين يوماً أي حوالي ثمانية أشهر لتتم تلك الرحلة إذا سار بسرعة ألف ميل في اليوم ...!!

كرة قرص قطرها ٢٠٠٠ ميل :

ويبدو القمر لعين الناظر بحجم كرة القدم .. ولكن يا لها من كرة ..!! إن قطرها يبلغ حوالي ألفين من الأميال أي ما يعادل المسافة بين بورسعيد ولندن ... فإذا أنت رأيت بعين الخيال كرة ضخمة معلقة في الفضاء يساوي قطرها المسافة بين بورسعيد ولندن فأنت إذاً قد شاهدت جسماً يقارب في حجمه حجم القمر ...!!

عالم ميت :

والآن دعنا نتساءل : هل يوجد فوق القمر أناس وحيوانات وأشجار ونباتات ، أم هو عالم ميت جدب لا حياة فيه ؟

لقد تبين للعلماء وثبت لديهم أنه عالم ميت انعدمت فيه أسباب الحياة وصورها ، فليس فيه ماء ولا هواء . ومن المستحيل أن نتصور مخلوقاً حياً يبقى بغير ماء ويحيا بغير هواء .

لا سحاب ولا جو :

وكنتيجة لانعدام الماء والهواء فوق القمر ، فليس هناك سحاب ولا جو كهذا الذي يحوطنا والذي يحمينا من حرارة الشمس المحرقة أثناء النهار ، ويحول دون فقدان الأرض لحرارتها أثناء الليل .

ففي خلال النهار القمري ، والذي يمتد إلى أسبوعين تسقط أشعة الشمس تواً على سطح القمر ، لا يخفف من حدتها أي حائل جوي ، وبذا يكون لها من الأثر ما يفوق أثرها فوق الأرض بخمس مرات .

وفي خلال الليل القمري الطويل ، والذي يمكث أيضاً أربعة عشر يوماً يفقد سطح القمر بسرعة ما جناه من الحرارة أثناء النهار ، وتنخفض درجة حرارته إلى حوالي ٢٥٠ تحت الصفر وهي درجة تكفي لتجميد الهواء ...!

ألبان القمر :

وهناك عديد من الفوهات الغائرة فوق سطح القمر . ويعتقد البعض أنها نتيجة لتصادم نيازك هائلة بسطح القمر ، ويعتقد فلكيون آخرون أنها فوهات براكين خامدة .

وإذا نحن نظرنا إلى فوهات البراكين الأرضية لألفيناها أنها عادة تماثل في شكلها أكواباً عميقة ، بينما الفوهات الموجودة فوق سطح القمر تشبه أطباقاً ضحلة واسعة ، وأكبر تلك الفوهات ، والتي يطلق عليها اسم « كلافيوس » يبلغ قطرها مائة وثلاثة وعشرين ميلا ، ومع ذلك فعمقها أقل من ميل ..!!

جبال القمر الخالدة :

ولننظر الآن إلى صورة أخرى من صور القمر البديعة ، ألا وهي جباله الخالدة الثابتة على مر العصور والأزمان ... ما أبدعها وما أروعها تلك الجبال ! إنها ترتفع في الفضاء ارتفاعاً هائلاً يبلغ في بعض الأماكن خمسة أميال ، وما أشبهها بنافورات الرواد المتحجرة التي تعصفها البراكين الثائرة ... وإنها الجبال لها صفة الخلود ، لا تتهاوى على مر السنين ولا يأكل منها الدهر ويشرب كما هو الحال في جبالنا الأرضية التي تؤثر فيها عوامل التعرية من جليد وماء وأمطار ورياح ، فهذه العوامل الجوية المتباينة لا وجود لها فوق ذلك التابع ، وبذا جباله أبدية باقية لا تتعرض لأسباب الانحلال والبلى .

صخور القمر :

وينطبق هذا على سطح القمر كله ، فلا يحدث فيه أقل تغير مع الزمن ! فبينما تتعرض صخرة على سطح كوكبنا إلى آثار الجو من ريح ومطر وعواصف وزوابع ، فتذبل صلابتها وتتهاوى عودها ، ويصيبها الانحلال والبلى بمرور السنين ، نجد أن صخرة قمرية قد ثبتت خلال أحقاب عديدة متلاحقة دون أقل تغير ، اللهم إلا تغير درجة حرارتها ، فتسخن حين تسطع عليها الشمس أثناء النهار وتبرد حين تغيب عنها وتغرب أثناء الليل ..

مرآة فضية هائلة :

وإن ضوء القمر الفضي البديع الذي نتمتع به في الليالي المقمرة فوق كوكبنا لهو انعكاس لضوء الشمس على سطح القمر . فهذا التابع جسم غير مضيء بذاته ، ولكنه كمرآة فضية دائرية ضخمة خشنة الملمس يستقبل الإشعاع من الورد الشمسي الهائل ويعكسه ويبعث به إلينا ...

التفاهم بلغة الإشارة :

وكما قلنا من قبل فليس في القمر ماء ولا هواء ، وليست هناك عواصف أو رياح ! وعلى ذلك إذا تصورنا أننا نعيش فوق القمر فلن يمكن لأحدنا أن يسمع الآخر لأن الأصوات ليست إلا أمواجاً هوائية ، فعلينا أن نتفاهم إذاً بلغة الإشارة !.

سماء القمر :

وسماء القمر سماء سوداء كالفحم تلمع فيها النجوم بنور ساطع ثابت غير مضطرب .

وقد يتساءل البعض : لماذا لا تبدو السماء زرقاء كما هو الحال في سماء الأرض ؟. إن السر يرجع إلى أن القمر لا يحوطه جو — كما أسلفنا — بينما الأرض محاطة بجو ، وهذا هو العامل الذي يساعد على انتشار الضوء وتشتيته وتحليله ، فتبدو السماء زرقاء للناظرين ..

منظر غروب الشمس :

ومنظر غروب الشمس ، ذلك المنظر الجميل الممتع ، الحبيب إلى نفوس أهل الأرض ، لا وجود له فوق القمر ، لأن ألوان الغروب البديعة ليست إلا نتاجاً من نتاج الجو .

الأرض من القمر :

ولنتصور الآن أننا نعيش فوق القمر . فكيف ترى تبدو لنا الأرض ؟؟.

إن للقمر وجهين أو جانبين أحدهما يبقى دائماً في مواجهة الأرض ، بينما الآخر بعيد عنها ... فإذا خطا أحدنا على جانب القمر المواجه للأرض فسنرى أبدع المناظر وأحبها ... سنرى الأرض الأم معلقة في سماء القمر .. ثابتة لا تتغير

مكانها ويغيرها ضوء الشمس . وكما اعتدنا أن نفكر في القمر المكتمل ، فعلينا أن نفكر الآن في الأرض عندما تكون بدراً ! فهي تمر في نفس الحلقة من الفصول التي يمر بها القمر حين نراه من الأرض ، ولكنها أكبر وأشد لمعاناً .. ففي خلال الليل القمري حين تصل الأرض بدراً تبدو أكبر ثلاث عشرة مرة ونصف مرة من قمرنا المكتمل .. وحيث إن القوة التي تعكس بها الأرض الضوء توازي ست مرات من قوة القمر ! فإن « ضوء الأرض » المكتمل سيبين لنا ثمانين مرة أشد وأكثر بهاء من ضوء القمر ..!!

الشمس من القمر :

ويمكن من القمر رؤية اللهب الهائل من الغازات المشتعلة ، وهو ينبعث من الشمس على الدوام ، ذلك اللهب الذي لم يتح لعلماء الفلك رؤيته إلا في اللحظات القليلة من كسوف الشمس . علماً بأن القمر الذي يمر بين الأرض والشمس ، فإنه يمنع عنا ضوء الشمس ويتركنا في ظلام دامس ، ويسمى هذا « كسوف الشمس » ولا يستمر هذا الكسوف إلا لدقائق معدودات لأن الأرض والقمر يتحركان بسرعة هائلة ، فلا يلبث القمر أن يتوارى تاركاً مفسحاً المجال أمام أشعة الشمس لتأخذ طريقها إلى هذا الكوكب .

خسوف القمر :

وهناك أيضاً خسوف القمر ، ويتسبب هذا حين تأتي الأرض بين الشمس والقمر ، فتمنع ضوء الشمس عنه ، وبذا لا يمكن لنا أن نراه من الأرض ، لأنه كما قلنا من قبل جسم غير مضيء بذاته يستمد نوره من الشمس ، وبهذا النور ليس إلا تتاح لنا رؤيته .

الخفة والسرعة فوق القمر :

ولنتحدث الآن عن شيء مدهش عجيب يواجهنا فوق القمر ..

إن الأرض تدور وتدور باستمرار ، ومع ذلك فنحن لا نسقط في الفضاء ، ومرد هذا إلى جاذبية الأرض ، تلك القوة التي تحفظنا في أماكننا على سطح هذا الكوكب .. وحيث إن القمر أضأل بكثير من الأرض ، فقوة الجاذبية هناك أقل ست مرات منها فوق الأرض ، فلو كنت تزن ستين كيلو جراماً فوق الأرض لأصبح وزنك هناك عشرة لا غير من الكيلو جرامات . ولهذا تكون حركاتك خفيفة بلا أدنى مجهود ، فيمكنك أن تجري بسرعة تفوق سرعتك الأرضية ست مرات ، كما يتاح لك أن تقفز إلى ارتفاع يوازي ست مرات الارتفاع الذي يمكنك أن تقفزه وأنت على الأرض .

كرة القدم فوق القمر :

ولو تصورنا أن هناك فريقين يلعبان كرة القدم فوق القمر لوجب أن تكون ساحة اللعب أوسع ست مرات منها على الأرض ، لأن رمية الكرة تنطلق مسافة أطول بستة أضعاف من مثيلتها فوق الأرض !!.

ولكن بعد ذلك :

وبعد .. فالقمر – برغم أنه عالم ميت جديب ، إلا أنه لا يزال تابع لكوكب الأرض .. إنه يتحكم في المد والجزر في بحارنا ومحيطاتنا .. وقديماً كان الناس يصدقون أن له تأثيراً علينا – ليس فقط – على محاصيلنا وإنتاجنا ، بل على عقولنا وإدراكنا ..!!

جمال السيد محمد مرسي



الخليـــل

للأستاذ عبد السميع المصري

- ٣ -

شعر الطبيعة وشعر القصص

أما شعر مطران في الطبيعة فمبعثه الحب العميق الذي يحسه الشاعر نحو الطبيعة الخالدة إلى حد التفاني فيها والامتزاج معها ، فلا يعود هناك عنصران مختلفان بل شخصان من عنصر واحد أو روحان متآخيان ، فاسمع إليه يتساءل عن صديق صباه النهر :

والنهر هل هو لا يزال كما   كنا لدنه المهد نألفه
يسقي الغياض زلاله غدقا   ويرد بحثهـــا عطفه
يطغى حيال السد أو يجري
متضايقـــاً آناً ومنفرطاً   متخللاً صخر السواقي
متمهلاً لتحيــــة الشجر   متداخلاً في المنحنى الضيق
اللاعب الأفنان والزهر

وهكذا فالطبيعة دائماً لديه روح حية يخاطبها ويناغيها ويحدثها وتتحدث عنها وهي تشركه شعوره وعواطفه :

وفي الهـــواء حنين   تذوب منــه الصخور
وللنســـيم حـــديث   على الروح يسور
وللأزاهر فكـــر   يرويه عنهـــا العبير

وفي قصيدة أخرى نراه يصف في الخيال المجنون قصة حب بين وردة وزهرة من زهور الزنبق ويرويها في شعر بالغ منتهى الرقة :

فطفت على الأزهار في أمن نومها
أنبههـــا جنداً إلى أتنقـــل
أحاول سلوانا بشكـــل ملاحة
فأدنى منهـــا ما أشاء وأشكل
وما كنت من يجني عليها خلاقتهـــا
شغافاً ولـكن جنة اليأس تحمل
إلى أن بدت لي وردة مستكينة
كأن دموع الفجر فيها تهلل
لها طلعة الحســـناء للأول وهلة
وفي الوجه تقطيب لمن يتأمل
تلوح عليهـــا الكآبة والأسى
مخايل دلت أنها ذات علة
ويكسوها معنى الحيـــاة ذبولها
لدى ناظريها فهي في النفس أجمل
مليكة ذاك الروض جاور عرشها
من الزنبق الصافي مليك مكلل
[illegible] عنوا منهـــا فكونها
[illegible] الوجد والوجد ممهـــل
[illegible] سبب اللقـــاء إليهما
[illegible] أنه يثنيهمـــا أو يعجـــل
[illegible] ثم موقفـــا
[illegible] طويلاً كذلك الدهر يسخو ويبخل
لقد جاورت عذراء العروس أليفها
لأن هو ميال العاطف أميل
فـكان إذا مرت به نسمة الصبـــا
يميل إليهـــا عاشقـــاً يتغزل
يداعبهـــا جهد الصبابة والهوى
ويعرض عنهـــا لاعبـــاً ثم يقبل
ويرشف كل من جبين حبيبه
دموع الندى خمراً وحبة قبلة
ولـكنه لم يلبث الصـــبو أن ذوى
فلم تثن عطفيه جنوب وشمـــال
فشق عليهـــا بينه وهو جارها
وباتت لفرط الحزن تذوي وتنحل

ونقرأ في ديوان الخليل الوصف الرائع للطبيعة كوصفه لصيف الصعيد وحره :

أوقد الصيف في الصعيد لظاه
فأجف الحقول والآجاما

وغدا الساني بين جو كثيف
متزيد من الغبار غماما

وفلاة كأنما الرمل فيها
شرر مده لهبة واضطراما

وكأن الماء في النيل يجري
... أيطانه ووجه تعامى

وقد أكثر مطران من كتابة الشعر القصصي ، وكان لنا منه فتح جديد في عالم الشعر العربي ، وقد اتخذ هو منه وسيلة للتعبير عن أحاسيسه الإنسانية وعواطفه الصادقة نحو الإنسان ، فنستمع إليه باكيا متفجعا وهو يروي قصة العروس الشابة التي ماتت مريضة بعد عام من زواجها في قصيدته (وفاء) وذلك على لسان زوجها :

فجعت فؤادي بالزمان بخطبها
فذلك مرزوء الفؤاد مفجع

عروس لعام لم يتم صرعتها
ولو خلت لم تصرب ... والطع

فباتت على عهد الشفي ما جنتها
هجوع ولا حقن بجسر يهجع

وكانت ريحها في تابوت مزاهي
من الزهر والشذو الرخيم الرجع

إن مثل هذا الشعر ينم عن شعور صادق بالمشاركة في السراء والحزن ، وإنك لتجد منه أمثلة كثيرة كقصة (الجنين الشهيد) و (المنتحر) و (الطفل الطاهر) .

وليس كل شعر مطران القصصي أو قصصه الشعري فواجع ومآسي ، بل هنالك نواح مشرقة مستملحة أشاد فيها العاطفة الحلوة الراضية كقصة (إن من البيان لسحرا) وهي قصة شاعر عذب الحديث ساحر البيان تهيم الفتيات من الاستماع إليه ، لكنهن لم يعجبن بالنعي والسالي إليه خفية فأحد يقص عليهن من القصص ما سحر الألباب وأوقعهن في أسر بيانه :

سمر العذارى منية عن شاعر الحي زائر
فقصدنه وسخرن من زجر الأمهات الزواجر

ليرين فتنته التي تغوي الفتيات الحرائر
فوجدنه رجلا على ما خالفه حسن الظواهر
لا شيء يفضح النهى فيه كما ادعت النواهي
فسألنه إنشاد شيء من بدائعه الخواطر
فأطاعهن ومن ترى يعصي الجميلات الأوامر
فقعدن فيما حوله عقدا فريدا من جواهر
وتناول الرجل الربا ب وفكره في الغيب ناظر
وأثار في الأوتار نغـ ـمة زيدا كأنت العود طائر
ثم انبرى يروي روا يته وتتبعه الخواطر

* * *

ثم التقى متكلفات دمعهن عن المحاجر
متلفتات نحو من هو مثله غزل وشاعر
كل تقول بلحظها بالهمس إلى بلغ عامر
تالله أضعفن الهوا صح ليس هذا غير ساحر

وقد وسعت شاعرية مطران الفياضة كل فنون الشعر الرومانسية ، فله في الوطنية قصائد كثيرة ، وكان دائم الحنين إلى وطنه الأول الشام والشعر به :

... آثار ملكك سلام
بعد طول النوى وبعد المزار

ووراء القضاء من ... غرصات
مفريات أو آهلات بالقفار

ذكريات طفولتي وأعيادي
رسم عهد عن أعين متواري

* * *

أهل لبنان سلام عليكم يوم تغني بقية الأعمار
لكم الأرض خالدين عليها بعظيم الأعمال والآثار
خضتم البحر يوم كان عصيا لم يسخر لقوة من بخار
وركبتم منه جوادا حرونا قلقا بالمراس الغوار

وهو يردد هذا الشعور في كثير من قصائده لا سيما إذا أحس آلام الاغتراب :

قد كرت مغتربي خيا عن عشيرتي الأوفياء
بولاء طفل لم يذق ألم الفطام من الولاء

ولقد كان لا ينسى واجب الوفاء لوطنه الثاني الذي أحبه وأخلص في حبه الولاء :

يا مصر دار السعد والهناء

ومهبط الأسرار والإيحاء

عليك من هــذا المحب النائي

ســلام قلب ثابت الولاء

يهواك في السراء والضراء

ولم يكن مطران متخلفاً عن عصره ، بل كان يجد مادة شعره فيما حوله من بيئة وأحداث ، ولذا فقد سجل تاريخ حقبة من الحياة بكل ما فيها حتى مخترعات العلوم .

ولا شك أن الكشف عن أشعة (رنتجن) كان حدثاً في العلوم خطيراً ، وقد سجله مطران في شعره حيث قال :

خذتها عن ضياء نفسه   يسري بوزنته الزآر

له زرقة اللماد لكنه   شرار من النار معطار

كمنتشر من خلال الزجاج   ه يحسبه لعب تار

كأن به العيون عيوناً   فكل خفي به ظاهر

يرينا الجسوم أشباح حقت   وزايلها حسنها النضر

فيا كل حكمة شارعها   أجليت ما ... ذكر

وإذا أضفنا إلى شدة حساسية الخليل حبه ووفاءه للأصدقاء علمنا السر الكامن وراء هذه الدموع التي أهرقها في رثائه ، وهذا الحجيج الصارخ فيها :

لقد قال يرثي أنطون الجميل :

يدعوك مفتقد وأنت بعيد

بالأمس كنت تعوده وتعيده

عز العزاء على الكريم يجيء في

نبأ التصويب والتصعيد

أأبا الروعة إن خطبك خطبها

أو لم تفارقها وأنت شهيد ؟

روعتك طائفة يحار عدها

أنى يعزيها وأنت فقيد

وكان مطران إذا باغته نبأ وفاة صديق من أصدقائه زلزل كيانه زلزالاً وبكى صديقه بالدمع السخين قبل أن يرثيه بالشعر الرصين ، وهو يحس ألم الفراق لما سيفتقده في الصديق الراحل من صداقة ومن عطف يشعر معه بدفء العاطفة الذي يجد في طلبه المغترب ويحرص عليه ، وهو ما نحسه إذ نطالع رثاءه لنقولا توما :

وقف الزمان فما لوعدك موعد

وعدا المكان فما لعهدك عهد

عن طلعة لك في الحياة وغيبة

كالظل إذ يبدو وإذ يبعد

بالأمس كنت وأمس في أفق النقى

غض الشباب فكان منك الموقد

مات الوقود الأريحي ولم يجب

يوماً لبه الصاحب المتودد

في حرية شماء لم يلمم بها

شكوى عليك ولم يصمد الموجد

يا ربة سعدنا وإنه انطوت آسى

منا مشاقات وسقت أكبد

أما رثاؤه لمصطفى كامل فقد غلبت عليه الروح الوطنية وأحس معه خسارة وطنية كبرى للشرق العربي قبل أن يحسه كصديق :

أين مكانك الأثلة وتيرة

ثم يطيب جواره بأمثالي

أين ... ما أسلفته

حياً وكل وليد ما أسلفا

وجزيت من ذي الوجود لقاك

ومن الأسى الماضي تقبل الصفا

فوردت وردك في الخلود منعماً

والأرض ساهدة عليك تأسفا

لم تأسف قبلك أمة في مشهد

يدعو الرجال به الفاجع موقفاً

يمشون من حول الجنازة صففاً

بهم الراجف من الثقلان معزفاً

بحر من الأحياء تمشي فوقه

فلك يظلله السواد مرفرفاً

يبكون في آثاره الصدق الذي

آثاره من رحمة لا تختفي

جزع التصابي والهدوء لمسلم

هو خير من والى وأوفى من وفى

بكوا الرجى في خلاف عارض
ليزيل ذاك العارض المتكشفا
واشتد رزء المسلمين وحزنهم
لما مضيت ولست فيهم مخلفا
من بعد كاتبهم وسيّد خطيبهم
يعلي لهم صوتاً وينشر مصحفا
قف أيها الناعي عليه جحوده
فلقد تجاوزت المدى متلطفا

* * *

مصر العزيزة قد ذكرت لك اسمها
وأرى ترابك من حنين قد عفا
وكأنني بالقبر أصبح منبراً
وكأنني بك موشك أن تهتفا
مصر التي غسلت يداك جراحها
بصبيب دمعك جارياً مسترفقا
مصر التي أحببتها الحب الذي
بلغ الفداء رباطة وتصوفا
حتى مضيت كما ابتغيت مؤلفا
من شملها ما لم يكن إيلافا

* * *

من كان أقدر منك تصريفاً لما
يعني الحكيم مدبراً ومصرّفا
من كان أطهر منك خلقاً جامعاً
فيه مهيبَ الطبع والمتظرفا
من كان أزهد منك إلا في الذي
يجدي البلاد فتبتغيه ملحفا

* * *

لهفي على علم الصبي هادي النهى
عالي اللواء حمى المروءة والوفا
يا من حوى تلك الفضائل والعلى
أفقدت معطلهن قاعاً صفصفا
لالا وحقك يا شهيد وفائه
ورجائه كذب النعي وأرجفا

ما أنت بالرجل الذي يمضي وقد
ملأ الوجود به وصيت قد عفا

* * *

والآن نحن لدى ثراك نحيه
متلهفين تشوقاً وتشوفا
نحيي وهل يوفي ثناؤك حقه
وأي القصائد الخالد يكتفي

لقد أطلت الوقوف على هذا الرثاء لما يبدو فيه من روح الخليل السمحة التي تعالت على الصغائر، ولما فيه من تسجيل رائع لشعور المصريين عامة لفقد مصلح كامل، وما فيه من دفاع مجيد عن الفقيد وآرائه، ورد على خصومه وشانئيه، وإثبات لحقائق تاريخية من تاريخ مصر كدنا أن ننساها.

بقي كلمة أخيرة في الحديث عن شاعرية الخليل، وهي أن الخليل عندما تقدمت به السن قل في شعره جموح العاطفة، وغلب عليه التعقل والهدوء، اللهم إلا أن تثير شجنه ذكرى ساعة أو زهرة باسمة حتى قال في آخر عهده:

[illegible] شاعر يتغنى
يتراجع من ثنايا الليالي

ولذلك قلت استعارته للفاختة وتشبيهاته الغريبة وتحليقه الجامح في سماوات الخيال، واستحالت النظرة الاندفاعية المتشائمة إلى ابتسامة فيلسوف يرقب أحداث الحياة ويسجلها.

ومع ذلك، فقد ظل مولعاً بالتصوير الشعري يقدمه في مراثيه في نوع من الواقعية العجيبة التي يسمو بها الفن سمواً عظيماً لما يصاحبها من خيال خصب فسيح المدى كقوله في رثاء الشيخ عبد العزيز البشري:

شخص قليل ظله طاوي الحشى
يمشي فلا تتوازن الكتفان
حفت ملامحه بسحنة أدمة
هي من « منا » إن شئت أو عدنان
وبعارضيه الخابطين ولمة
شعثاء لم تسلم من الثوران

عبد السميع المصري

قصـــة (ترلبي Trilby)

للكاتب (جورج دو مورييه)

ترجمة الأستاذ مبارك إبراهيم

كان « دو مورييه » مؤلفاً ، وكان رجل فن ، ولد في باريس عام ١٨٣٤ ، وهناك درس الفنون ، ومات أبوه عام ١٨٥٩ فانقطعت بوفاته دراسته ، ثم عاد فاستأنف دراسة الفنون في باريس ، ثم في أنتورب .

وسافر بعد ذلك إلى إنجلترا حيث عمل في تزيين الكتب والمجلات الإنجليزية كمجلة (بنش) وغيرها بالرسوم والصور .

ومات في لندن عام ١٨٩٦ إثر نوبة قلبية ، وكان قبل ذلك قد تجنس بالجنسية الإنجليزية .

وهذه القصة نشرها الكاتب عام ١٨٩٤ ، وهي قصة تتحدث عن حياة الفنون والآداب في إنجلترا وفي الدوائر الأميرية في الجيل الذي سبق جيله ، بعضها عاصرها وقد شارك في حوادثها ، لم تغرب في ذاكرته .

والصفحات الأخيرة منها تقوم مقام الخاتمة ، وقد كتبت بعد عشرين عاماً من تاريخ أيام القصة ، وهي تتحدث عن أشخاص كانت لهم في القصة أدوار هي في تمام الأدبي أنها الخاتمة المستفادة من الرواية فتختص بانتهاء حياة (ترلبي) .

قال الكاتب :

في منتصف القرن الماضي كان « الحي اللاتيني » في باريس كعبة يحج إليها كل شاب من شداة الفنون ، ولا يزال هذا الشأن شأنه إلى يومنا هذا ! ففي يوم ماطر قد اعتدل هواؤه من أيام شهر إبريل كان ثلاثة رجال من الإنجليز يعملون في مرسمهم الذي أقاموه وأثثوه منذ زمن قريب في ميدان (سانتانوول « راعي الفنون ») ، وكان أحدهم واسمه (تافي) رجلاً طويلاً ، متين البنية ، صلب العضل ، وكان من أهل « يوركشير » ، وكان قد شارك من قبل في حرب القرم ، ولكنه لما كان يحس في نفسه ميلاً إلى الفنون لا قبل له بصده ؛ فقد ترك الجيش وولى وجهه شطر باريس ، وهو الآن يتخذ التصوير مهنة له .

وكان ثانيهم اسمه (لورد كوكين) ، وهو وجيه اسكتلندي من أصل عريق ، دفعه ولعه برسم صور مصارعي الثيران إلى الرحيل إلى باريس .

وكان ثالثهم رجلاً حباه الله بدناً قوياً ، وحباه بالظرف والذكاء ، ففاق بهما صاحبيه الآخرين اللذين كانا يكبرانه سناً ، وكان اسمه (بالي) ، وقد تلقى تعليمه في البيت ، أما أمه وأخته الأرملتان فقد كانتا تعيشان في « ديفونشير » .

وكان (تافي) يحب (بالي) الصغير ، ويحنو عليه كالأخ العطوف ، وفي أصيل يوم من الأيام زار الثلاثة الإنجليز رجلان هما : الموسيقي (سفنجالي) وعشيقه وصديقه (جكو) وكان هذا رجلاً غريب الأطوار .

أما (سفنجالي) فقد كان طويل القامة ، وثيق التركيب يبدو من مظهره أنه من اليهود ، وكان رث الهيئة ، زري الملبس ، يتكلم الفرنسية في طلاقة تشوبها لكنة ألمانية ، وكان يسحر سامعيه إذا عزف مقطوعات (شوبان) .

وفي حين غفلة من القوم سمع دق شديد على الباب ، وتبعه صوت جهوري يقول : هذوا اللبن ! ومشت إلى داخل البيت فتاة صغيرة ملتفة في رداء من أردية الجنود الفرنسيين ويبدو من أثناء الرداء قميص قصير مخطط ، ونظر الرجال فرأوا عنقاً جميلاً ، ورأوا في مظهر الفتاة البساطة المحببة ، كما رأوا في حديثها الفكاهة الحلوة التي جعلتها تلقى التأهيل والترحيب أينما ذهبت .

وقدمت الفتاة نفسها باسم (ترلبي أوفيرول) وسرعان ما علموا أنها تعمل (موديلاً) عند مصوري الحي ، وأنها

اشتهرت بجمال قدميها ، ولكي تدخل في الرجال السرور تغنيهم أغنية قديمة ، وهي وإن كانت تترنم في غنائها أصول الفن ، فإنها قد أدهشت القوم بجمال صوتها ، وبدا على (سفنجالى) بصفة خاصة أنه قد تأثر بهذا الصوت الجميل ، ومضى ينبئ القوم أنه معنيٌّ بالغناء ، وأنه مولع بأن يصنع مغنياً .

وزارت (ترلى) المرسم بعد ذلك مراراً ، فعلم القوم منها أن أباها وأمها قد ماتا ، وأنها هي مربية أخيها الصغير ، وأن أباها كان رجلاً مثقفاً ، طيب الأرومة ، كريم المحتد ، وأنه أولع بالخمر فقضت عليه وأنكته القبر ، وأن أمها كانت فتاة اسكتلندية كانت يوماً ما (خمارة) في باريس ، ومعنى هذا أن الفتاة (ترلى) لم تكن مبرأة من الشوائب .

وكان (سفنجالى) كلما رأى (ترلى) في المرسم حاول إغناءها ، لتأذن له في تدريب صوتها ، ولكنها كانت تسخر منه ، وتهزأ بمهارته ، وكانت تراه بغيضاً ثقيل الظل .

وكلما زادت معرفة (ترلى) بالرجال الأخ[illegible] زادت أواصر الود بينها وبينهم ، فكانت تطهى [illegible] وكانت ترفو جواربهم أحياناً ، وكانت [illegible] وكانوا يصحبونها في رحلاتهم إلى [illegible]

أما (سفنجالى) فما فاتته الفرصة يوماً في التحدث إليها ، وكان يدعى الحب لها ، وكان يحدثها بقصصه التي تبعث الرعب ، ولولا فضل (بلى الصغير) و (تاف) على الفتاة لأذاقها (سفنجالى) المر ألواناً .

وفي ذات صباح كان (بلى الصغير) يسير إلى الفصل الذي تتخذ فيه الأجسام الحية نماذج للتصوير ، فإذا به يرى (ترلى) تقف ليصورها المصورون وهي عارية ، فأسرع بالخروج من الفصل ، وبعد قليل أمسك به إخوانه وهو في طريقه إلى المحطة . وكل ما استطاع أن يقوله تبريراً لمسلكه أنه ذاهب إلى (باربيزون) — وهي إحدى ضواحي باريس — ليصور مناظر للطبيعة هناك .

وبعد أيام حدثته (ترلى) حديث وقوفها ذاك ، ثم لم تلبث أن أقلعت عن هذا العمل ، وعادت إلى عملها القديم عمل الغسالات .

وكان (تاف) وكان (اللورد) يعرفان أن (بلى الصغير) قد شغف حباً بـ(ترلى) كما كانا يعرفان أن (ترلى) مغرمة متولهة ببلى . وقد صدقا — [illegible] — يطلب إليها أن تتزوجه فأبت أن تجيبه إلى ما طلب .

وفي يوم عيد من أعياد الميلاد طافوا معاً ببيوت أصحابهم حيث أكلوا وشربوا . وقد بدأ العشاء في الساعة العاشرة مساء ، وظل القوم يسمرون إلى صباح اليوم التالي . وكانت فرصة مواتية لها خطرها وشأنها عند (بلى الصغير) ذلك لأنه اقترح يومئذ للمرة التاسعة عشرة أن تتزوجه (ترلى) وفي هذه المرة أجابت بالقبول . ولأول مرة في حياته كان قد سكر .

وفي يوم رأس السنة كان (تاف) واللورد يصالحان في المرسم ، إذ جاءتهم ربة البيت تعلن قدوم زائرين . وكان أولئك الزائرون هم والدة (بلى الصغير) وصهرها ، ومعهما رجل من رجال الدين ، هو القس (توماس باجوت) .

[illegible] (اللورد) كما سألوا (تاف) أسئلة يتقصون [illegible] وبينما القوم يسألون أسئلتهم دخلت (ترلى) [illegible]

وأحست الفتاة أن قبولها الزواج ببلى الصغير كان خطأً كبيراً ، ووعدت أن تتخلى عن صاحبها . فما غادرت (ترلى) المكان أفهمت زوجة القس أنها جدة متعبة لأنها وعدت [illegible] وهو فصم العلاقة بين (ترلى) و (بلى) .

وفي صباح اليوم التالي وصل خطاب من (ترلى) إلى (تاف) وكان خطاباً توجع في كلماته جوانب القلب . وقد ذكرت في خطابها أنها قد أخطأت ، وأبانت أنها مرتحلة إلى باريس وفي صحبتها أخوها الصغير ، ولم تقل في الخطاب أين تتوجه وتمضي .

ولما عاد (بلى الصغير) إلى باريس ووجد الحديث بما جرى تساقطت نفسه غماً وأسفاً . وزفر زفرة كاد ينشق لها ، ومرض مرضة شديدة . فما أبل بعد شهور رجع إلى (ديفونشير) وفي صحبته أمه وأخته .

وانقطعت أخبار (ترلي) وعلم (نال) بطريق غير مباشر أن أباها قد مات في آخر مرضه بالحمى القرمزية .

ثم انقضت سنوات خمس ولاذا بالصور التي صورها (وليم باجوت) وهو الاسم المستعار لبالي الصغير قد حصلت على صيت ذائع في أندية الفن في أوربا . ولكنه منذ مرض لم يعرف الحب الطريق إلى قلبه . فقد ماتت تلك العاطفة التي اسمها الحب ، فلم يتزوج صاحبنا ولم يحب .

وفي تلك الأثناء كانت عواصم البلاد الأوربية قد جن جنونها إعجاباً بمغنية جديدة اسمها (لاسفنجالي) .

وفي باريس رأى (بالي الصغير) مرة أخرى في صحبة (الدورد) و (نال) وقد جاءوا ليسمعوها وهي تغني . وفي ليلة الغناء احتلوا أماكنهم مبكرين . فلما دخلت جوقة الموسيقى رأوا أن عازف الكمان الأول هو صديقهم القديم (جكو) . وبعد قليل خرج (سفنجالي) ليقود الجوقة وهي تعزف ، وكان يبدو عليه أن الزمن [illegible] الرغيد ، قد كان لها أثر بالغ الحسن [illegible] قد أحاله رجلاً بادي السعادة .

ولما رفع الستار برزت امرأة [illegible] بالعجب على الطراز القديم . وكان وجهها معروفاً بادي الشحوب . ولكن تبدو عليه آيات الحنان والرقة وأمارات الحلاوة والبساطة .

وكانت تلك المرأة هي (ترلي) بعينها . وليس في مقدور الكلمات أن تؤدي وصف الأنغام الشجية التي كانت تلك المرأة تؤدي به مقطوعاتها ، ويبدو أن نوعاً من قوى الجن قد رفعت من شأن تلك الأغنيات القديمة الساذجة التي كانت تغنيها ، وكأنها في نبراتها وألحانها كانت تناجي حبيباً غائباً وتناديه .

وفي اليوم الثاني بصرت عين (بالي الصغير) بسفنجالي في مكتب البريد ، فلما مر بها تقدم (بالي) إليه يحييه ، فكان جواب (سفنجالي) أن سبه وبصق في وجهه ، وفي تلك اللحظة كان (نال) يصعد السلم مسرعاً فبادر (سفنجالي) باللوم واللطم .

فلما عاد (الدورد) و (نال) إلى لندن لم يكونا يفكران إلا في أمر (ترلي) ، وكان جمهور الناس في لندن ينتظرون ليالي غنائها بصبر نافد .

وقبل موعد الغناء شاع في الناس الخبر أن (سفنجالي) قد أصابه جرح قطع من مدية طعنه بها (جكو) أثناء إحدى المشاجرات الغريبة .

وفي ليلة الغناء ترقب الأصدقاء الثلاثة أن يروا (سفنجالي) يقود الجوقة الموسيقية كما كان يفعل ، ولكنه كان غائباً ، ولم تستطع الفتاة أن تؤدي دورها في الغناء مقودة من قبل معلم (سفنجالي) ، وكانت هذه دسيسة دسها (سفنجالي) للفتاة لتحط من قدرها ، وصاح السامعون ، وكانت هذه آخر دسيسة من دسائس ذلك الرجل ، إذ إنه ما كاد يغادر المسرح حتى وقع مغشياً عليه ومات لساعته بالسكتة القلبية .

وسرعان ما أخذ الصاحبان (بالي الصغير) و (نال) يعنيان [illegible] (ترلي) ، ولكن الأطباء كانوا من برئها آيسين ، وكانت [illegible] عن (سفنجالي) كصديق قديم ، وكانت [illegible] إنها لم تحب في حياتها إلا حبيباً واحداً ، ذلك هو (بالي الصغير) .

وكان موتها مصيبة كبرى نزلت نزول النائبات على كل من عرفها ، ولكن (بالي الصغير) كان أشد الناس تجزعاً ، فبات لا يملك دمعه ، ولا يملك قلبه ، وما لبث أن لحق بها بعد قليل .

وبعد بضع سنين — وكان (نال) قد تزوج بأخت (بالي الصغير) — التقى في طريقه إلى باريس (جكو) فأنبأه هذا كيف درب (سفنجالي) الفتاة (ترلي) على الغناء ، فكان هو العقل المفكر ، وكانت هي الأداة التي تؤدي ما يلهمه ذلك العقل ، وبعد مران طويل أمكنه أن يخضعها لما يشبه الرقية ؟ ولكن المران الطويل الشاق ، وما يتطلبه الغناء من عناء وجهد قد أضرا بصحتها أبلغ الضرر ...

(عن الإنجليزية) مبارك إبراهيم

معنى الحضـــــارة[1]

* للأستاذ محمد سيد أحمد شريف

الحضارة اسم يطلق على جميع نماذج السلوك التى يكتسبها الإنسان من حياته فى المجتمع ، والتى يتبادلها الأفراد فيما بينهم ويورثونها لما يليهم من الأجيال ، معتمدين فى هذا النقل والتوريث على عدد من الرموز والمصطلحات الجمعية ، من أهمها اللغة والكتابة . ومن ثم فهى تشتمل على كل ما أنتجته الجماعات البشرية على طول التاريخ ، وهى بهذا لا تقتصر على اللغة ، أو الصناعة ، أو الفن ، أو العلم ، أو القانون ، أو الحكومة ، أو الأخلاق ، أو الدين فحسب ؛ وإنما تتضمن أيضاً جميع المظاهر المادية من منشآت ومؤسسات وغيرها مما تتجسم فيه المنتجات الحضارية ، وتستطيع الحضارة العقلية أن تؤثر تأثيرها الفعال عن طريقه ، وبهذا تعد من مظاهر الحضارة مختلف الأبنية ، والأدوات ، والآلات ، ووسائل المواصلات والأدوات الفنية ... الخ .

... ومن هنا يتضح لنا أن الدلالة العلمية لكلمة « الحضارة » تختلف تماماً عن معناها الشائع ... [illegible] رأينا — تشتمل على كل ما يمكن أن ينتقل عن طريق اتصال الأفراد فى المجتمع ، واتصال المجتمعات بعضها ببعض ، ويتضح من هذا أنها تضم جميع اللغات ، والتقاليد ، والعادات ، والمؤسسات ، والنظم الاجتماعية . ولما كنا لا نعرف جماعة إنسانية إلا ولها لغة وتقاليد وعادات ونظم ومؤسسات ، فإن الحضارة تكون هى الخاصية العامة التى تتميز بها المجتمعات الإنسانية ...

... على أن من الجائز أن يكون هناك شئ من الحضارة فى عالم الحيوان ، أو على الأقل فى مراتبه القريبة من الإنسان ؛ ولكن لما لم تكن ثمة جماعة حيوانية ذات لغة منطوقة ، فإن الوسيلة الأساسية لنشر وتوريث حضارة مثل هذه الجماعة — إن كان لها حضارة — تكون قد انعدمت ، وبالتالى يحق لنا أن ننفى معنى الحضارة عن عالم الحيوان .

... وأصل الحضارة باعتبارها مميزاً من مميزات الإنسانية ، إنما يكمن فى هذه القدرة العامية التى يتمتع بها الإنسان ، وهى القدرة على التعلم من تجاربه وخبراته ، وعلى نقل ما تعلمه بواسطة رموز أهمها اللغة . والكشف والابتكار مما يعينا التعلم لدى الإنسان ، ونقل ما يكتشف وما يبتكر ، وتوريثه بواسطة عمليتى التعليم والتعلم يؤدى إلى نمو الحضارة واستمرارها لدى الجماعات ...

... ولما كانت الحضارة تنتقل بواسطة التعليم والتعلم — سواء كانا مقصودين أو غير مقصودين — فإن الجانب الأساسى من الحضارة إنما يكمن فى نماذج السلوك التى تتمثل فى تقاليد الجماعة ، أى فى معارفها وأفكارها ، ومعتقداتها ، وقيمها ، ومعاييرها ، والعواطف التى تسود فيها ، ويرجع [illegible] الجانب العقلى والوجدانى فيها ..

... أما الجانب [illegible] من الحضارة ، فهو عبارة عن مظاهر الحضارة [illegible] ، أى فى كل ما تقوم به وما تنتجه وفقاً [illegible] العقلى والوجدانى ، ويتمثل هذا الجانب فى عاداتها ، [illegible] ومؤسساتها ... الخ . ولكن العادات ، والنظم ، والمؤسسات ، تكون فى معظم الأحيان تعبيراً عن أفكار الجماعة ، ومعتقداتها ، وقيمها ، وما يغلب عليها من مشاعر وعواطف . ومن ثم يكون صميم الحضارة فى جماعة من الجماعات هو المزاوجة بين أفكار هذه الجماعة وبين ما يكتنفها من ظروف الحياة ...

... وبهذا يكون تعريف الحضارة تعريفاً سلوكياً ، (أى بحسب ما يتمثل منها فى السلوك الظاهر للجماعات) تعريفاً ناقصاً ؛ لأن التعريف الجامع للحضارة يجب أن يتناول كلاً من مظهريها الذاتى والموضوعى . فالواقع أن حضارة جماعة من الجماعات الإنسانية ، إنما تتمثل فى كل من تقاليدها ، (وهى أفكارها ، ومعتقداتها ... الخ) وعاداتها ، (وهى التطبيق العملى لهذه الأفكار ، والمعتقدات ... الخ) ، مع ملاحظة أن التقاليد — وهى الجانب الذاتى من الحضارة — تعتبر هى العنصر الأساسى فيها .

محمد سيد أحمد شريف

(١) Fairchild : Dictionary of Sociology. pp. 60—61 (New York, 1944)



نقد الكتب

الثورة فى الصحراء

أو الثورة العربيـــة ١٩١٦ – ١٩١٨

تأليف لورانس ، وترجمة الدكتور رشيد كرم

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

لا يرتبط بصحراء العرب وثورتهم الكبرى ضد الترك فى سنة ١٩١٦ إلا « لورانس » المشهور فى التاريخ الحديث باسم لورنس بطل الجزيرة ، كما أحب مواطنوه الإنجليز [illegible] وأبى هـذا الاسم وحده فى التاريخ الإنجليزى [illegible] بالرجال .. فهناك « السير توماس لورانس » [illegible] المشهور الذى توفى سنة ١٨٣٠ ، والذى أوصلته شهرته لأن يكون المصور الخاص لملك انجلترة . وهناك « السير هنرى لورانس » الجندى والسياسى المشهور الذى شارك فى قضية الهند قبل حركة العصيان فيها فى منتصف القرن التاسع عشر . وهناك « د . هـ . لورانس » الأديب والقاص الإنجليزى المشهور الذى توفى سنة ١٩٣٠ ، والذى اشتهر بمجموعة من القصص أهمها « أبناء وعشاق » (سنة ١٩١٣) ، و « قوس قزح » (سنة ١٩١٥) ، و « عاشق الليدى تشاترلى » (سنة ١٩٢٨) ، والذى جمع الأديب الإنجليزى المفكر « ألدوس هكسلى » رسائله فى كتاب وقدمه لسوق الأدب سنة ١٩٣٢ .

ولكن لورانس بطل الجزيرة يحمل اسم « توماس إدوارد لورانس » ، أو « ت . ا . لورانس » الذى غيّره فيما بعد إلى « توماس شو » فى سنة ١٩٢٧ ، أى بعد دخوله دمشق مع الملك فيصل تسع سنين .

وعجيب جداً أن يغير لورانس اسماً اشتهر به واقترن بجهاده وعمله فى الثورة العربية ، وردده شعراء البدو فيما بين جدة والعقبة وشرق الأردن وعمان ... وأن يختار بدلاً منه اسم « شو » وهو اسم مغمور غير مذكور .

ومن الغريب أيضاً أن يتنازل لورانس عن ألقابه وعن رتبه وأوسمته ، وأن يرضى بعد سلسلة من المغامرات الخيالية أن يكون عضواً ميكانيكياً فى سلاح الطيارات الملكى البريطانى ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى جندى بسيط فى سلاح الدبابات ... لا يهتف باسمه لسان ، ولا تطلب مشورته فى مؤتمر السلام ... ثم يقرأ الناس بعد ذلك أن الجندى البسيط « توماس شو » قد قتل فى حادثة من حوادث الطيران بالمد .. فيجهل الكثيرون أن « شو » هذا هو الشخصية العبقرية الفذة التى أقامت جزيرة العرب وأقعدتها ضد الأتراك ، والتى طوفت بكل شبر من رمال الجزيرة ، كما تطوف الجن فى وادى عبقر السحيق ...

* * *

وكم كنت أود أن يقول الدكتور رشيد كرم شيئاً من أشباه هذا الكلام ، ولو فى مقدمة قصيرة يقدم بها ترجمة لكتاب يبلغ خمسمائة من الصفحات ... ولعل الدكتور رشيد تحرج أن يقدم لورانس إلى قراء العربية

بعد أن قدم لورانس نفسه في كل سطر من سطور الكتاب ، فالكتاب — في الحق — هو مذكرات غير مؤرخة تماماً لأعمال قام بها المؤلف في خلال سنتين من سني الحرب العالمية الأولى ؛ فلا غرو أن يكون ترجمة للمؤلف في سنتين من حياته التي يبدو أنها كانت مليئة بالأخطار والأسرار ..

وكتاب « ثورة في الصحراء » — على طوله وضخامة حجمه هو في الحق مختصر الكتاب الكبير الذي ألفه لورانس بعنوان « أعمدة الحكمة السبعة » ، والذي ظهر لأول مرة سنة ١٩٢٦ في انجلترة فلقي من الرواج وتخاطف الناس له وإقبال المترجمين على ترجمته إلى اللغات الأوربية ما حمل المؤلف على أن يقدمه إلى القراء موجزاً سنة ١٩٢٧ ، وظفر هذا الموجز بما ظفر به الكتاب المطول من رواج وإقبال ، وتخطفته النفوس الظمأى إلى استطلاع ما وراء الأفق في جزيرة العرب ، أو التلهفة إلى قراءة أغرب الأخبار وأعجب الأخطار ... وترجم الموجز إلى اللغة الفرنسية — كما ترجم المطول — ومن هذه الترجمة الفرنسية نقل صديقنا الدكتور رشيد كرم هذا الكتاب إلى اللغة العربية .

* * *

ولا نسأل كيف ظل هذا الكتاب محتجباً عن القراء العرب قرابة ربع قرن ، فلا يترجم لهم ولا يعرض على موائد أفكارهم !... فالحمد هنا للدكتور رشيد كرم أولى من العتاب على الذين فاتهم ترجمة الكتاب كل هذا الزمن الطويل ..

والحق أن عكوف الدكتور كرم لكتاب لورانس كان مفاجأة لي لم أملك نفسي عن العجب منها ... فالمترجم شاعر وأديب وقصصي وراوية ، أعرفه عن يقين وأشهد له عن تجربة .. وأعرف أن الأقرباذين والمشارط والمباضع لم تلهه يوماً واحداً عن أن يجد في الشعر والأدب ظلالاً لروحه الطيبة ... أفما كان أحرى به أن يخرج لنا ديواناً من الشعر ، أو فصولاً في النقد أو بحوثاً في الأدب بدلاً من أن يقدم لنا « لورانس » في مغامراته الحربية الخطيرة بجانب الأمير فيصل — الملك فيصل فيما بعد — ليثير شعور العرب ضد الترك ويؤلبهم عليهم ...

ولقد كان العرب يحلمون من وراء هذه الثورة أعذب الأحلام ، ويمدون أنفسهم الثوابة إلى الحرية بأطيب الأماني ، فكأنهم كانوا مع الشاعر القائل :

منى إن تكن حقاً تكن أعذب المنى
وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

ولكنهم — مع الأسف — وقفوا ووقف معهم لورانس بعد مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ ليشهدوا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم خيبة « القوات » The Powers في تحقيق وعودهم لمشايخ العرب ...

ولعل هذه الخيبة المؤلمة هي التي حملت لورانس — كما يقول المؤرخون الإنجليز أنفسهم — على التنازل عن رتبته والتجرد من ألقابه والتنكر لماضيه للورانس ليبدأ ماضياً عادياً جديداً تحت اسم توماس شو ...

ربما فقط أدركت البواعث الخفية التي حملت صديقنا الدكتور رشيد على أن يقدم للعرب كتاب الثورة العربية درساً لعل أولى الألباب يأخذون منه في قفر القرائح ...

* * *

وفكرة « الثورة العربية » التي يزعم لورانس أنه اقتنع بها أول مرة ، يتصل عن « تقطيع أوصال الدولة العثمانية » .. ولدتها فكرة انجلترة نفسها .. التي أمدت العرب بكل شيء لتحقيق هذه الفكرة . وكان لورانس نفسه يرى أن يسلح العرب بالمدافع .. (إذ كان الكبير فيهم والصغير ، من فيصل « إلى الجندي الحقير ، يرددون دون انقطاع : مدفعية ! مدفعية .. ومنذ وصولي إلى هنا شعرت بارتياح شديد لاتساع نطاق العصيان .. فإن هذه القاطعة الصغيرة القليلة السكان قد تحولت إلى انتقاض حقيقي ضد تركيا بعد أن كانت نوعاً من السطو على القوافل) ص ٤٤

ولا أدل على اعتبار فكرة الثورة العربية في الضمير الانجليزي من قول لورانس إن الأميرال « ويميس » (كان لشدة ذكائه ولاتساع مداركه وعقله القائم التفكير قد اهتم من أول لحظة بالثورة العربية ، وكم من مرة كان يتوقف

بركبه على الشـواطئ العربية ليقدم للعرب مساعدة ما في بعض مواقفهم الحرجة) ص ٤٦ .

على أن فكرة هذه الثورة لم تظهر فقط في سنة ١٩١٦ ، بل يصرح لورانس بأن السردار السير ونجت قد سر لتقريره (لأن الثورة العربية كانت حلم أحلامه منذ سنين) ص ٤٧ .

وعجيب جداً أن لورانس يُغفل هذه الحقائق أحياناً ، ويغفل مساعدات انجلترة الفعالة في إشعال هذه الثورة ... ويذكر في ص ٢٩٠ (أن الترك أصبحوا يشعرون بالمضايقة والقلق .. إلى حد أنهم نسوا تدبير عصيان العرب إلى الانجليز .. وأنهم هم المحركون والمغذون لهذه الثورة) . يا سبحان الله ! كأن الترك وأحلافهم الألمان كانوا بعيداً عن حقيقة هذا العصيان الذي ينسبونه إلى الانجليز ... ! .

ولقد تحمست الأيدي العربية البدوية إلى التخريب والنسف مدفوعة بسحر العصيان الذي كانت تحت زعامة لورانس — وقيادته — كل يوم اشتعالاً — حتى تعلم العرب تفجير الديناميت لتخريب المنشآت التركية ... — وهو عربي ثائر — (كان يحمل ... الديناميت وعظم مفعوله ، ... لما استعمله لأول مرة .. وأخذته نوبة شعرية يمجد بقوة هذه الآلة العربية) ص ١١٧ . وفي سبيل هذه الغاية لم يجد لورانس بأساً من التضحية ببعض العرب للوغ هدفه البعيد ويقول في ذلك : (وإذا كان فقد رجلين من رجالنا العرب أمراً يؤسف له ، إلا أنه لم يكن الوقت وقت حسرة .. فعلينا احتلال « معان » بأي ثمن كان ... ويكفي بعد إرادتي أن أضحي بأكثر من اثنين من رجالنا العرب لبلوغ الهدف الذي نصبوا إليه ... وإن مثل هذه المواقف الدقيقة لتبرر كل تضحية ؛ وكل عار يمحى أمام نجاحنا النبيل) ص ١٦٧ .

وإذا كانت الثورة العربية في أول أمرها نوعاً من العصيان الغرض منه فإنها اتخذت بعد ذلك سلاحاً خطيراً ضد تركيا وألمانيا معاً . وفي هذا يقول لورانس : (وكان الناس جميعاً ينظرون إلى العصيان العربي نظرة المتعرض دون قوم عزلة ! فكانت وسائلهم ضئيلة ، وكذلك واجباتهم وأطماعهم .. أما الآن فقد عدهم « الفني » من عوامل خطة هجومه التي لا يستهان بها ... وإن التشويشات التي تلقى على مناكب أولئك القوم جمع مشروعنا فوق الأمر العادي ...) ص ٣٢٨ .

* * *

وفي سبيل الغاية الورانسية .. أو الانجليزية ، لقي بطل الجزيرة لورانس ألواناً من العناء في التوفيق بين العرب المتخاصمة والقبائل المتنافرة ، والشيوخ المتنابرة ... لأن الصلح بين هؤلاء السادة المتخاصمين هو ربح للوحدة العربية التي يسعى لورانس إليها .. حتى يقاتلوا تركيا صفاً كالبنيان المرصوص ...

فهؤلاء « الحويطيون » هم رجال حرب أشداء كثيرو العدد إلا أنهم أعداء ... لأبناء عمهم « أبو تايه » لتشاجر ... دائماً في أذهان « عودة » و « محمد » — ص ...

وفي سبيل هذا التأليف والتوفيق يقول لورانس : (... جاءت جماعات من غير نظام .. ... العرب ... ذهاباً وإياباً على ظهور الركب .. أكثر شيئاً حرجاً ، مقطب الجبين ، وأتقدم إلى آخرين ... فأوفق بين الجميع .. وأحاول تجنب المشاورات والمناظرات ، حتى إذا جاء وقت العمل ودقت الساعة يكون المتنازعون متمكنين من جسوم البعض ...) ص ٢١٠ .

* * *

على أن ثورة طائفة كالثورة العربية لم يكن يكتب لها النجاح لولا ما أرصدته انجلترة لها من الذهب .. الذهب الذي لعب دوراً كبيراً في الصحراء .. ولا يخفي الكولونيل لورانس ضرورة الذهب لنجاح ثورة العرب في مواطن كثيرة من الكتاب . ففي ص ٣٧ يقول : (وبعد مرور زمن غير يسير وصلت إليهم كمية البنادق اليابانية قديمة غير صالحة تقريباً ، وعتيقها من النوع الردئ ، فكانت تنفجر لأول طلقة في يد العربي الجاهل ... إلا أنه لم يصل إليهم

الذهب الذي كان أهم ما يعتمد عليه في الصحراء بين القبائل) وفي ص ٤٣ يقول : (ولم يكن ثمة غير الذهب ليأتي بالمعجزات في الصحراء ، ويحفظ ذلك الجيش المشكل من القبائل الرحل مدة خمس سنوات متواصلة تحت السلاح) ، وكان الذهب في يد الأمير فيصل — الملك فيما بعد — يبعثر ذات اليمين وذات الشمال ... ويصرح المؤلف فيقول : (وصل إلينا فيصل عشرين ألف دينار ذهباً ... وكانت هذه القيمة فوق ما طلبنا إليه لندفع أجور الرجال الذين تخدم في طريقنا ! ولنذكي نار الشهوة للذهب في قلوب الحويطات فيطاوعونا بحماسة) ص ١٠٤ .

ولا تتعب أيها القارئ الكريم في البحث عمن كان يمد الثورة العربية بهذا الأصفر الرنان ... فإنك ستعرف ذلك في مثل قول المؤلف : (فانتزع « كلايتون » من الخزانة المصرية ١٦٠٠٠ جنيه ذهباً وأمر بشحنها) ص ١٨٥ . ولما وقف لورانس أمام « اللورد اللنبي » وصف هذا اللقاء قائلاً : (وإن هذا الشكل العربي [illegible] نفسه — لا يطلب — من اللورد طبعاً [illegible] ومقدار مائتي ألف دينار من الذهب ... لتثبيت أقدام المهتدين في عقيدتهم الجديدة وإدارة حركاتهم ..) .

وقد عرف لورانس كيف يسيل لعاب العرب لهذا المعدن الكريم ... فقد أغرى الثائر الكبير « عودة » ورجاله بمثل هذه العبارة :

(وإن الذي سيرسل إلى « العقبة » بنادق ومدافع ومتفجرات وذهباً !) ص ١٩٢ . إلا أن البنادق في هذه المرة لم تكن من النوع الذي ينفجر عند أول طلقة . لأن الخطة كان لها مصلحة أية مصلحة في أن تكون البنادق بيد العرب الثائرين ضد تركيا من أجود الأنواع ... !

وكانت مطالب لورانس الذهبية تحقق دائماً على وجوه الاستعجال .. وخاصة بعد نجاحه في اقتحام « العقبة » . اسمعه يقول : (وكانوا قد أرسلوا إليّ من « العقبة » ثلاثين ألف جنيه ذهباً ...) ص ٣٢٢ .

والضمير في « كانوا » يعود بالطبع على المخابرة ، وعلى رؤساء الحركة التي كان مركزها « القاهرة » ... التي كان المؤلف دائم الاتصال بها .. فيقول : « كنا قد أبرقنا إلى القاهرة » . أو يقول في ص ٣٣٧ : (وكانوا في القاهرة خلال الأربعة الأيام التي قضيتها هناك يولون أمرنا اهتماماً جدياً) . أو يقول في ص ٨٢ : (وقد وعدتنا القاهرة — تحت تأثير هذه الأخبار الطيبة — بالذهب والبنادق والبغال والمتراليوز والمدافع ..) .

* * *

وفي خلال هذا السرد الشائق لسلسلة متتابعة من الحوادث المثيرة يظل لورانس مبدعاً في وصف العادات العربية والتقاليد البدوية ، ووصف المدن العربية وقراها ومساكرها وصفاً لا يملك القارئ نفسه من الإعجاب بدقته وروعته . على أن لورانس مبدع أيضاً في وصف الرجال : عرباً كانوا أم غير عرب . ويكفي أن أحيل القارئ على أوصافه البارعة للشريف شاكر ص ١٦ ، ووصف فيصل ووصف [illegible] وشجاعته وصراحته ص ١٨٦ ، ١٨٨ ، ووصفه لأبناء الشريف حسين فيصل وعبد الله — الملك عبد الله — وعلي ، ووصفه لعودة البدوي ولفهد اللذين يمثلان أخلاق الصحراء ...

ولورانس مؤلف من طراز رفيع ، فهو حين يتوجس إملالاً في السرد يلقي إليك بفكاهة تسري عنك وتبعثك على المضي في القراءة ، كوصفه لجيوش الحشرات والبراغيث التي أرادت أن تجعل من جلده النائم مخزناً شهياً لها ، ولم يشأ أن يكون كريماً معها — كرم العرب — إلى حد أن يقدم دمه طعاماً لهذه الضيوف الثقيلة .. ص ٢٥٦ .

وهكذا يمضي بك الكولونيل لورانس في خمسمائة صفحة من التاريخ والمذكرات والعادات خلال عامين في الصحراء ، فتشعر وأنت في جو من الترجمة العربية البليغة والأسلوب العربي المشرق للدكتور كرم أن أطراف الجزيرة كلها قد اجتمعت بين يديك وتحت ناظريك ...

محمد عبد الغني حسن



وداعا إلى غير لقاء

للأستاذ أحمد بدران

ودعها في تلك الليلة وقد عزم على ألا يلقاها بعدها. وعندما أمسك بيدها وصافحها مرة رجفة، وأوشكت أن تنفجر من عينيه دمعة ولكنه أسرع فردها. ودعا لها سيارة لتحملها إلى منزلها. وكانت الليلة ممطرة والبرد قارساً والقمر متدثراً بالغيوم، فكأن الطبيعة تشاركه الأسى في تلك المساء. ونظر إلى وجهها الصغير [illegible] نافذة السيارة وقد علته طبقة من الماء. [illegible] ولوح لها بيده. ثم [illegible] ثانية إلى المائدة التي كانا عليها يجلسان. [illegible] في الانحدار لرؤية وجهها. وأطلق لفكره العنان ومضى يتذكر.

بلى!! أكان ذلك حقاً منذ ثلاثة أعوام؟ ما أسرع ما تمر الأيام! نعم في ليلة حزينة منذ ثلاثة أعوام كان مدعواً إلى حفل قران في النادي عند أسرة صديقة. وتردد كثيراً في الذهاب، ولم يأنس في نفسه تلك الليلة ميلاً إلى الصخب والضجيج، كان مزاجه يومها أقرب إلى الحزن دون ما سبب، وقضى شطراً من الوقت [illegible] من الشراب والمأكولات الشهية لم ينظر فيها منذ أسابيع، لكنه خشي لوم الأسرة الصديقة وغضب العروس الصغيرة وقد كان يعتبرها له أختاً، فحزم أمره ومضى إلى النادي... إنه ليسائل نفسه الآن: كم تتوقف الأمور الجادة على الصدفات الصغيرة؟ ترى لو لم يذهب في تلك الليلة... ولكنها الأقدار كانت تعد له يومها حدثاً كبيراً...

ورآها هناك... كان جالساً وحده في ركن قصي يرقب الراقصين والراقصات يتمايلون على نغمات الموسيقى، وأبى عقله إلا أن يتفلسف.

أيها الحب الذي [illegible] في قوة كأنها لا شيء يستطيع أن [illegible] من جهد. سيتخطى هذا [illegible] غيره ومن بعده غيره وهكذا في الحياة [illegible] من أهون [illegible]... عدم الوفاء!

[illegible] هذه الفتاة الفاتنة ذات الثوب الأسود، إن فتنة الجسد الأبيض لا يبديها مثل إطار أسود. حذار أيها الغريب من هذه النظرات التي تصوب إليك كالسهام المريشة من هذه العيون النجل ذات الأهداب كأسنة الرماح. إنها سلاح المرأة منذ الأزل، كم أغريت بها، كم صدت وكم قربت وأبعدت، وكم أحبت وكم صرعت...

ولكن صوتاً يهمس في أذنه: وأين أنت؟.. في أي واد سحيق؟ يا سيدي نحن هنا... وكانت رنة الظفر تقول: أنت تعلم وحيداً! ولكن الذنب ذنبي، وما كنت عنه في الحال، هذه فتاة سأقدمها إليك، فحذار ألا تعرفها!

يا إلهي! كيف غابت عيناه عن هذه الفتاة من قبل!! وكانت قد خطوات منه... وقال لها:

— هل أحلك هو قلبي حقاً؟

فأجابت وهشة :

— نعم !

قال : عرفتِه منذ وقت ؟

قالت في سخرية : أو جمعنا بأيام !

قال : وكيف عرفوا وقتها أنك ستصبحين فاتنة ... ؟؟

أجابت وقد ضمت شفتيها الصغيرتين في عمد وصوبت إليه عينين كأنهما عيون البقر : هل أعد هذا غزلاً ؟

قال وهو يتكلف الجد : إذا شئت .. ولكن فرّي بنا إلى حلبة الرقص .

وكان وهو يراقصها يطيل التأمل ويصره حائر بين ذلك الجبين المشرق الذي يشع نوراً يضيء ما حوله .. وهذه الأجفان التي تلقي على الوجه ظلالاً فاتنة ، وهذا الفم يحيط به شفتان رقيقتان مضمومتان في قوة كأنما تحرسان خطراً أو تحرسان صفين من اللآلئ الناصعة ، وهذا العنق الجميل للذي يه كرم يوجه شرقي في تماثيله ، والثوب الذي يضمها في شغف ترى أهو [illegible] يسعد بهذا الثوب الأنيق ، أم هو الثوب يبيه زهوة بما يضمه من جمال ! لكأنما غني الجسد عن ذلك الثوب تحقيق أمنيته ، أو لعل الثوب فكان في موضعه لسحابة لصفوه ..

وتوقف العزف وقالت ربة الدار : هاكم أيها الأصدقاء والصديقات مفاجأة صغيرة ... إن الآنسة فاتن ستغني لنا مقطوعة بكل من اللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، ونظر إليها وقال : أنت ؟ أجابت : يبدو ذلك . واتجهت إليها الأنظار ، واشتد التصفيق ، وعلت في كل صوت رائع حنون أطربه وملك عليه حواسه ... أسمعوه وهي تنشد من شعر شوقي :

جحدت عيناك زكي دمي ... أكذلك خدك يجحده
قد عزّ شهودي إذ رمتا ... فأشرت لخدك أشهده
بيني في الحب وبينك ما ... لا يقدر واشٍ يفسده

ما كان أحرى هذا الحديث أن يوجه إليها .

ونظرت إليه رانية وهي تغني بالانجليزية :

أحبني ... أحبني إلى الأبد ... ودع الأبد يبدأ الليلة

ثم ابتسمت له وهي تقول في أغنية فرنسية :

الحب ... الحب ... هو سيد متعالٍ .. ولكنه خادم مطيع ! .

ولما انتهت من غنائها أحس بأنه يريد أن يخلو بنفسه ليفكر فيها ، فهو لا يدري ماذا حدث له الليلة ، لقد قلبت له هذه الفتاة حياته رأساً على عقب ، وتسلل إلى الشرفة البارزة وأغلق الباب وراءه ، ورأى القمر ينظر إليه في رفق وحنان وأشعته الفضية تنعكس على صفحة ماء النيل في منظر شاعري يأخذ بالألباب ، وصوتها إذ يتسلل من بين فروع أشجار الحديقة نغماً كأنها النقود الفضية ... لكن الباب [illegible] .. وكانت هي .. وقالت له ضاحكة : وقل لي أطيب [illegible] ... » .

[illegible] ملياً ولكنك جعلتني هذه الليلة شاعراً !

ولكن [illegible] إلى هنا ؟ .

[illegible] من الصخب والضجيج .. ولم أعلم أنك هنا .

— ولكن الصخب والضجيج مازال يلاحقنا هنا تعالي معي ..

وأمسك ذراعها وقادها إلى ركن قصي في حديقة الدار وجلس إلى جانبها وقال : أريد منك أن تحكي لي الآن كل ما فيك هناك ! .

— ولكني لا أستطيع ... إني متعبة ..

— ولكني أصر على ذلك ..

— تصر ؟ إنك تخاطبني بلهجة غريبة ... يظهر أن من عرفتهن قد دللنك أكثر من اللازم فاعتدت أن تنال كل ما تريد ... ولكني لن أجيب طلبك ..

— في هذه الحالة لن أدعك تنصرفين ، وكم يسرني أن نقضي ما بقي من الليل هنا إلى الصباح ... .

ورغبت له وحده ، ولما أتمت غناءها قبلها بجرأة ،
وقالت غاضبة :

— إنك لجريء .

أجابها في مثل لهجتها : إن كنت لا تريدينها فرديها إليّ
في الحال ....

فضحكت ...

ثم إنه يذكر هذا اللقاء الأول ، يذكر كل لحظة
فيه ولن ينساه أبداً ، وهو يذكر بعد ذلك كل ساعة قضياها
سوياً في الأعوام الثلاثة التي مضت كأنها الحلم ... وهو يذكر
المرات القليلة التي اختلفا فيها ، ثم ذات يوم مشمس من أيام
الشتاء ، كانا يجلسان في جزيرة الشاي ، وأخرجت من
حقيبتها صوراً ومضت تتأمل ، سألها عن هذا « البوك
أوفر » ! وتحايلت فقالت : كانتني إحدى صديقاتي أن
أسلمه لأختها ، فتناوله منها في هدوء ، وألقى به في الركة
التي تحيط بالجزيرة ، ووجمت هي لحظة ولكنها لم تعلق شيئاً
حتى هما بالانصراف ، فسألته في هدوء :

— هل تثق بي ؟.

فأجاب :

— أكثر مما أثق بنفسي .

قالت : كان الـ « بول أوفر » لك ! .

ومرة أخرى كانا يجلسان في ذلك المقهى الذي يطل
على النيل ، وقال لها فجأة : أريد أن تهدي إليّ صورتك .
قالت : ولكنك تراني في كل حين ، فما فائدة
الصورة ... ثم أنت تعلم بما تجره من قلق ومتاعب ..

فقال لها : اسمعي .. لقد سألتني ذات ليلة هل أثق بك
وعرفت إجابتي ، وأنا اليوم لم أسألك هذا السؤال ، ولكني
عرفت إجابته ، وأنا على أي حال أشكر لك حسن
رأيك فيّ .

وقاما لينصرفا وقد خيم عليهما الصمت ، ولكنه سمع
صوتها أول شيء في الصباح في التليفون تقول : اعذرني
إذا كنت قد أغضبتك ، ولكنه أمعن في الرفض وأصرّ
على ما طلب ، وكان له ما أراد ، وقدمت إليه مجموعة كبيرة
من صورها لا صورة واحدة ...

ثم يستعيد ذكرياته مسرعاً حتى يصل إلى الليلة الماضية ،
حين زارته سيدة جميلة ، فيها من فاتن شبه كبير ، وجلست
ثم قالت : إنك لا تعرفني ، ولكني أعرف عنك كل شيء
من قبل ، أعرف ملامح وجهك ، وألوان جميع رباطات
عنقك ، وأي الأماكن تحب وأيها تكره ، وكم قالباً من
السكر تضع في فنجان الشاي ، أعرف كل هذا ، لأن فاتن
أختي ، ولم تكن تحدثني طوال الأعوام الثلاثة الماضية عن
شيء إلا عنك ، قصت عليّ كل شيء ، وقد جئت إليك دون
علمها أتحدث إليك .. أنت تعلم أن فاتن مسيحية ؛ فاجتماعكما
بعقد مقدس أمر مستحيل ، طبعاً أنت تعرض أن تتزوج
منها ولو احتفظت بدينها ، ولكنا من أسرة محافظة في
الصعيد ، شديدة التمسك بالتقاليد ، فمن المؤكد أنها لن تقبل
هذا الزواج ، وقد تهجر هي أسرتها من أجلك ، ولكن
هل تقبل أنت هذا الوضع ؟ قد يبدو لك الأمر اليوم سهلاً ،
ولكن إلا بعد السنون وأن العاطفة المتأججة أن تهدأ
وحينئذ ترى ما لا بد منه — فسترى أنت أنك أخطأت ،
وسترى هي أنها ضحت بالكثير ، ولن تشعر بالسعادة قط
وهي منتزعة من أهلها ، وسيكون في ذلك تنغيص حياتك
أيضاً ، وبعد فهذا هو الوضع ! ولقد تقدم إليها الكثيرون ،
ولكنها رفضتهم جميعاً ، وأنا أعرف السبب في رفضها ؛ فهو
أنت ، إذا كنت تحبها حقاً يا سيدي كان عليك أن تضحي
من أجل سعادتها وتتركها ، فإن الأعوام تمر ، وأنا أدرك
فداحة ما أطلب منك ، ولكني أركن إلى نبلك وكرم
خلقك ، وأترك لك بعد ذلك الأمر ...

وأفاق من أحلامه ، ورأى المقهى يغلق أبوابه ، فمضى
منصرفاً حتى إذا وصل إلى منزله جلس يكتب :

« فاتن ... اغفري لي ... سأتزوج قريباً ، فلن
أستطيع بعد الآن أن أراك .. فوداعاً ... إلى غير لقاء » .

وانحدرت من عينيه دمعتان ، مسحهما في رفق .

أحمد عبد الله

من صلوات الشاعر الغريب :

جحود ...

هل كان قلبي سوى قربان فنان
أو كان شعري سوى قرآن وجداني
واضيعتاه لمن الحب بينكم
يا أمة خلقت من غير ميزان ... !
واضيعتاه لأشواقي وأخيلتي
ما بين عباد أصنام وأوثان
مالي أغني فلا يهتز سامركم
على اهتزازات أشجاني وأوزاني
أنا الذي يرقص الأطيار مزهره
ويلتقي النور والظلماء في حاني
مالي أغني فلا يشجي بكم أحد
كأنني هاتف في سمع صوان
وكم طرحت لأصداء مشرعة
من نحو يوم ومن شعب قرباني
حتام ينكرني قومي وأكرمهم
كأنني في سوى قومي وأوطاني
حتام الحب كالمسموم من ظمأ
والنبع قربي يسقي كل ظمآن
يا لائمي ... وأنتم حبل مشنقتي
وعاذلي ... وأنتم نسج أكفاني
حلوا بأيديكم الأغلال عن عنقي
فالفن ما كان يوماً ذنب فنان
لا تشرعوا ريشة الإبداع ملء يدي
فتخلطوا بين أصباغي وألواني
لا تحرقوا صلوات الفن في شفتي
فإنها ملك أجيال وأزمان
لا تحرموني حقي في محافلكم
لغربة أمسي في غير ألحاني
وربما حلقت في الأفق قبرة
وعطرت زهرة أرجاء بستان
لكن غداً سوف يدري كل ذي أذن
غداً ... متى حررت آذان عميان
أن الذي فجر الإلهام في أفقي
قد كاد أن تصيره نار حرماني

محمد مفتاح الفيتوري

النيـــل

يا نيل ! من نبعك في الجنوب
ومن مدار النار واللهيب
وراء خط الأزل المهيب
ومن مجرات الشذا والطيب
يحمل - هنا - كآبة الغريب
يرسله فيضاً بلا حسيب
[illegible] من قرب
ويرتمي صدر القفر الخصيب
إلى مصب الأبد الرهيب
البحر ذي الثورة والشبوب
وإذ ، يشق أكرم الشعوب
يضم مجرى ملك السكوب
كالنور من شرق إلى مغيب
أو خطرات الشاعر الموهوب
يرسلها صافية التذويب
تشعر من الحر أو اللهيب
الماء ، أحلى من رحيق الكوب
شوق إلى منابعه الصبوب
في سفر الإدلاج والتأويب
شوق حبيب تاق للحبيب !

* * *

يا نيلُ ! كم من سرٍ عجيبِ
يروى حديث مجدك الخصيبِ
في صفحاتِ سفرك المكتوب
وصبرك المأثور عن أيوب
وقصة الغالب والمغلوب
ووقفة الغاصب المغصوب
يقذفه بالحجر والطوب ..
ويحمى الحجر من الرتيب
ويرتدي في ثوبه القشيب
لم يخشَ منه ثورة الشعوب
ولا اشتداد الموقفِ العصيب
في عاصفِ الأمطار والخطوبِ !

***

يا نيلُ ! يا مربي الشعوب
ومخرج الأبطال للحروب
مالكَ أرغنا الدروب
سهول مصرَ أو جبال النوب
تعبك خرق الصدع والشعب
وتحت تاج (الملكِ) المحبوب
يهمّ للنهضة والوثوب ألله مؤلف القلوب !

عامر محمد بحيري

جامعة إبراهيم باشا الكبير

إعلان

عن وظائف كتابية خالية

تعلن جامعة إبراهيم باشا الكبير عن حاجتها إلى تعيين كتبة بالإدارات المختلفة بها ، وفيما يلي شروط التعيين :

أولاً : أن يكون المرشح مصرى الجنسية لا يزيد عمره على ٣٠ سنة ، ولا يقل عن الثامن عشرة سنة .

ثانياً : أن يكون حاصلاً على إحدى الشهادات الآتية :

١ — دبلوم مدارس التجارة المتوسطة .

٢ — شهادة الدراسة الثانوية القسم العام .

٣ — شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص (التوجيهية) .

ثالثاً : أن يجتاز الكشف الطبي أمام القومسيون الطبي العام .

رابعاً : أن يكون مستوفياً جميع مسوغات التعيين .

ويكون التعيين في الدرجة الثامنة [illegible] على حسب الشهادة الدراسية .

فعلى راغبي التقدم لهذه الوظائف تقديم طلب استخدام على الاستمارة ١٦٧ ع . ح . مرفقة بالشهادة الدراسية المنوه عنها ، وشهادة الميلاد ، أو مستخرج رسمي ، وصورتين شمسيتين مقاس ٦ × ٨ سم .

وترسل الطلبات باسم حضرة صاحب السعادة سكرتير عام جامعة إبراهيم باشا الكبير بمبنى معهد التربية للمعلمين بالمنيرة (١٩ شارع أمين باشا سامى) في ميعاد لا يتجاوز ٢٦ / ٨ / ١٩٥٠ .

٥٦١١

المؤتمر الثقـــافى العربى الثانى

هـذا المؤتمر هو المؤتمر الثانى الذى تدعو إليه الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربيـة ، وتشترك فيـه وفود الدول الرسمية تمثل وزارات المعارف العمومية العربية والجامعات الرسمية والأهلية ، كما دعى إلى الاشتراك فيه لفيف من رجال التربية الممتازين ، وأبيح الانتساب إليه للأساتذة والمدرسـين والمدرسات فى مختلف الأقطار العربية .

وقد بلغ عدد المشتركين فى المؤتمر زهاء أربعمائة عضو من بينهم حوالى مائة مدرسة من مدرسات المدارس الثانوية والعالية فى مختلف الأقطار العربية ، وقد لوحظ أن الضغط كان شديداً من المشتركات فى سوريا ولبنان ، وهـذا دليل واضح على تقـدم الحركة الفكرية والثقافية بين نساء هذين القطرين ، ولولا القيود المفروضة فى تحديد الأماكن اللازمة لإقامة الأعضاء لكانت الإدارة الثقافية قد لبت كافة الطلبات الكثيرة من المشتغلات بالتربية والتعليم فى هذين القطرين .

وكانت جامعة فاروق الأول بالإسكندرية صاحبة الفضل فى إعداد مكان انعقاد المؤتمر بمبنى كلية الآداب بالشاطبى وإعداد أماكن السكنى اللازمة لمعظم المشتركين والمشتركات من الأقطار العربية .

ومدار البحث والمناقشة العامة فى هذا المؤتمر موضوعان هامان من المواضيع الهامة التى تشغل أذهان رجال التربية فى مختلف أرجاء العالم وخاصة فى الأقطار العربية فى الآونة الحاضرة ، وسيشترك فى بحث هذين الموضوعين بحثاً تفصيلياً كافة أعضاء المؤتمر من رسميين وغير رسميين ، بيد أن هناك مسألتين سيقتصر بحثهما والاهتمام بهما على الممثلين الحكوميين دون سواهم ، وهاتان المسألتان هما :

١ — بيان الخطوات التى اتخذتها كل حكومة من الحكومات العربية فى سبيل تنفيذ قرارات المؤتمر الثقافى العربى الأول .

٢ — دراسة التقارير التى وضعتها وزارات المعارف العربية عن الأحوال والاتجاهات الثقافية والتربوية السائدة فى كل قطر من الأقطار العربية .

والمؤتمر جانبه الثقافى العام فضلا عن جانبه الفنى الذى أشرنا إليه آنفاً ؛ فهنالك محاضرات عامة فى شئون التعليم والتربية كلف بإلقائها أيام انعقاد المؤتمر لفيف من رجال التربية الممتازين ، وقد حددت للمحاضرات العامة مواعيد تقع بعد الفراغ من أعمال اللجان التى سوف تستمر صباحاً وبعد الظهر حتى الانتهاء إلى القرارات والتوصيات اللازمة .

والمؤتمر كذلك جانبـه الاجتماعى الذى من شأنه التخفيف من ضغط الجو العلمى المتصـل الحلقات ، فقد أعد برنامج للرحلات والمشاهدات والحفلات الشائقة .

ولا شك أن أهم ما نستخرجه من هذا المؤتمر هو أنه يتيح لعدد كبير من أبناء الأقطار العربية فرصة زيارة مصر والتعرف إلى معاهدها ومعالمها ، كما يتيح لهم الاجتماع بإخوانهم المصريين فى صعيد واحد ، وفى ذلك خير فرصة لتبادل الآراء وتلاقى الأفكار وتمازج وجهات النظر ، وهذا هو المكسب الحقيقى الذى يعود بالخير على الثقافة والتعليم فى البلاد العربية .

مطبعة لجنة البيان العربى للترجمة والنشر